

شرح

أصل السُّنَّة واعتقاد الدِّين

لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي
عن أبيه أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر
وأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم

المتن مقابل على:

- مختصر الحجة على تارك المحجة للإمام نصر المقدسي.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة الله اللالكائي.
- مختصر العلو للذهبي، تخريج وتعليق الشيخ الألباني.

لفضيلة الشيخ

زيد بن محمد المدخلي

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

<http://www.atafreegh.com/>

قَالَ: ^(١) أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ الشَّامِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ وَأَنَا أَسْمَعُ فَأَقْرَبُ بِهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْمَكِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُرْدَكٍ بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْذَعِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَسْعَدَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ [رَحِمَهُمَا اللَّهُ] ^(٢) عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَمَا أَدْرَكَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ الْأُمُصَارِ وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَا: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأُمُصَارِ [-حَبَازًا وَعِرَاقًا وَبَصْرًا] ^(٣) وَشَامًا وَيَمَنًا - ^(٤) فَكَانَ مِنْ [مَذَاهِبِهِمْ] ^(٥): [أَنَّ] ^(٦) الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

كتاب «السنة» للالكائي أورد أقوالهم جميعا.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة:

قول باللسان: كالشهادتين وكأركان الإيمان التي يُقرّ بها كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة، وكما قال

النبي ﷺ: «قل آمنتم بالله ثم استقم»، ^(٧) إذن الإيمان قول باللسان؛ نطق باللسان.

واعتقاد بالقلب: أي ما قاله بلسانه يعتقد صحته بقلبه، فيتفق القلب واللسان على صحة القول.

وعمل بالجوارح.

يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

هذه القيود الأربعة عند أهل السنة والجماعة السابقين واللاحقين، لا ينقصون منها شيئا أبدا، ومن

نقص شيئا منها وقع في خطر، الإيمان نطق باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح؛ لأن الأعمال كلها

داخلة في مُسمّى الإيمان؛ من صلاة وصوم وقراءة قرآن وأمر بمعروف وصدقة.. وغير ذلك من أنواع

الإحسان.

يزيد بالطاعات كما أخبر الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]،

(١) قال «اللالكائي» (١/ ١٧٦): أخبرنا محمد بن المظفر المقرئ، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبش المقرئ، قال: حدثنا أبو محمد بن عبد

الرحمن بن أبي حاتم، قال: سألت...

قال الشيخ الألباني في «مختصر العلو» (ص ٢٠٥): وهذا إسناد جيد.

(٢) غير موجودة في «اللالكائي» و«مختصر الحجة». وفي «مختصر العلو»: رحمهما الله تعالى.

(٣) غير موجودة في «اللالكائي».

(٤) غير موجودة في «مختصر العلو».

(٥) في «مختصر العلو»: مذاهبهم.

(٦) غير موجودة في «اللالكائي».

(٧) مسلم، حديث رقم (٣٨).

والتلاوة واستماع القرآن عبادة، فالإيمان يزداد بالطاعة، ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، سماع الآيات والنصوص والمواعظ والترغيب والترهيب.

وينقص بالمعصية، المعاصي تُنقص الإيمان سواء معاصي ظاهرة أو معاصي باطنة، تُنقص الإيمان، كما قال النبي ﷺ: «لا يزي الزاني حين يزي وهو مؤمن» أي كامل الإيمان، «ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»^(١) أي كامل الإيمان.

هذا تعريف أهل السنة والجماعة وأدلته من الكتاب والسنة. وعرفه أهل البدع بتعريفات متعددة كلها خاطئة وباطلة.

فقال الجهمية: إن الإيمان هو المعرفة؛ معرفة القلب وكفى، يعني من عرف ربه بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان. وهذا قول باطل؛ لأن إبليس عرف ربه بقلبه وصرح ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف]، فعلى قولهم -وهذا هو اللازم الذي لا يريدونه ولا يريدون أن يصرحوا به- من لازم قولهم أن إبليس مؤمن كامل الإيمان، وأن كل فاجر وكافر اعترف بالرب أنه كامل الإيمان عند الجهمية.

وقالت الكرامية: الإيمان النطق باللسان، من نطق بلسانه فإنه مؤمن كامل الإيمان. ويلزم على قولهم هذا أن المنافقين الذين حكم الله عليهم بأنهم في الدرك الأسفل من النار بأنهم مؤمنون كاملو الإيمان، وهذا قول باطل وضلال مبین؛ لأنه يلزم عليه كما أسلفت أن المنافقين الذين هم شرّ الخلق والخليقة أنهم مؤمنون كاملو الإيمان.

وقالت المعتزلة: الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ ولكن لا يزيد ولا ينقص؛ لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية، لم؟ لأن القاعدة عندهم أنه كل لا يتجزأ، لا يقبل التجزئة، فلا يقال: إيمان ناقص وإيمان كامل. عند المعتزلة، فأخطؤوا وضلوا عن أهل السنة والجماعة.

وقالت الأشاعرة ومن معهم: إن الإيمان نطق باللسان واعتقاد، على خلاف بينهم؛ ولكن لا يدخل العمل في مسمى الإيمان، نطق باللسان واعتقاد بالقلب، وأخرجوا العمل من مسمى الإيمان. فمن لازم قولهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه يزيد بالأعمال الصالحة وينقص بالأعمال السيئة، فإذا كان العمل ليس من مسمى الإيمان، فمعنى ذلك عند الأشاعرة لا يزيد الإيمان ولا ينقص، مع أنهم يتفقون مع أهل السنة من أن العمل الصالح يترتب عليه ثواب والعمل السيئ يترتب عليه عقاب؛ ولكنهم خالفوا أهل السنة والجماعة في التعريف الكامل الشامل.

هذا خلاصة البحث في حقيقة الإيمان.

وهؤلاء كلهم مرجئة، فالجهمية، الكرامية، إرجاؤهم غليظ؛ لأنهم لم يذكروا العمل لا من قريب ولا من بعيد.

(١) البخاري، حديث رقم (٥٥٧٨). مسلم، حديث رقم (٥٧).

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ.

هذا معتقد أهل السنة والجماعة يقرره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، (وَالْقُرْآنُ) الفرقان الذي أنزله الله على نبينا محمد ﷺ (كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، منه بدأ وإليه يعود، هو حروف وكلمات وألفاظ وسور وآيات، كلها تكلم الله بها، وأنزلها وحيا، وبلغها جبريل بلا زيادة ولا نقصان إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين، والنبى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بلغ القرآن للأمة من فاتحته إلى خاتمته، وبقي بين أظهر هذه الأمة بدون زيادة ولا نقصان ولا تحريف، ولم يستطع أحد أن يمسه بسوء رغم كثرة الأعداء لهذا القرآن؛ لأن الله ﷻ القادر على شيء والظاهر فوق كل شيء حفظ القرآن بل جميع الذكر من القرآن والسنة، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر].

هذا معتقد أهل السنة سائرين على نهج السلف أن القرآن كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. بخلاف أهل البدع والضلال فإنهم: منهم من صرح بالقول بخلق القرآن كالمعتزلة.

ومنهم من أثبت الكلام لله ﷻ ومنه القرآن؛ ولكن على غير طريقة أهل السنة والجماعة كالأشاعرة والكلابية والماتريدية قالوا: كلام الله معنى من المعاني، والقرآن الكريم هذا الذي بين أيدينا ألقاه الله على قلب جبريل، وجبريل عبّر عنه بلغته. فقالت الأشاعرة: هو عبارة عن كلام الله.

وقالت الكلابية: حكاية عن كلام الله، وذلك أن جبريل ألقاه على محمد ﷺ ومحمد حكاة بلغته؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، قالوا: حكاة للناس بلغته.

وكل من الأشاعرة والكلابية مبطلون في هذا التأويل والتفسير الباطل؛ بل القرآن الذي نقرؤه هو كلام الله، ليس لأحد فيه حرف واحد، وليس لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد ﷺ إلا التبليغ، بلغوا ما أنزول إليهم، ما أوحاه الله إليهم، فإذا قرأت ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق]، تؤمن بأن الله هو الذي قال ذلك، فلا يجوز أن نقول: إن هذا المعنى -معنى الآية- عبّر عنه جبريل ولا حكاة محمد؛ ولكن بلغه جبريل عن ربه بهذا اللفظ والمعنى، وبلغه محمد الأمة عن جبريل، وبلغ الأمة بعضهم بعضاً بالإقراء إلى يوم القيامة، وليس لأحد في القرآن حرف واحد زاده، أو هو من كلامه؛ ولكنه كلام الله المتعبد بتلاوته، المبدوء بالحمد والمختوم بالناس.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، بخلاف أهل البدع والضلال.

فالجهمية نفت الصفات جميعها.

المعتزلة قالوا: القرآن مخلوق.

الأشاعرة قالوا: عبارة عن كلام الله.

والكلابية قالوا: حكاية.

وهذا الكلام كله باطل، وليس صواباً إلا كلام أهل السنة والجماعة الذي قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وهو حروف وكلمات وسور وآيات أنزلها الله على جبريل وبلغها جبريل محمداً وتلقاها الأمة كما وصلنا.

الأشاعرة قالوا: الكلام هو معنى قائم بالنفس؛ يعني يريدون أن ينزّهوا الله بزعمهم عن مشابهة المخلوقين الذين يتكلمون، ثم يقولون: من لوازم الكلام مشابهة البشر؛ لأن الكلام يحتاج إلى لسان،

ويحتاج إلى شفتين، ويحتاج إلى حنجرة، ويحتاج.. قالوا: والله يتنزّه عن الأبعاد، كلام لا حاجة إليه وليس هو من العلم ولا من الفقه وإنما هو من الضلال ورثه الآخرون عن الأولين من الضالّ والمبتدعين.

فالله ﷻ لا يشبه شيئاً من مخلوقاته حتى يقال: إنه يلزم من إثبات الكلام لله وجود حنجرة ووجود شفتين وكذا، وكذا، الله ﷻ يتنزّه عن مشابهة المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وهو يتكلم بدون أن نطلب هذه الجوارح لتكون لله تبارك وتعالى، والله على كل شيء قدير، أنطق الله ﷻ من لم يكن له لسان من مخلوقاته، ولا حنجرة ولا ولا.. أنطقه الله فتكلم وسمعه الناس، فالحصى ليس له من ذلك وقد سبح في يد النبي ﷺ، وفي يد أبي بكر، وفي يد خلفاء، سبح تسبيحاً يسمع بلا لسان ولا حنجرة وهو مخلوق من مخلوقات الله، والجذع الذي كان يخطب إليه النبي ﷺ - جذع النخلة - فلما عمل له المنبر ورقى عليه حن الجذع وسمعوا له صراخا كالناقة ولم يسكت حتى نزل النبي ﷺ حتى ضمه إليه فسكت،^(١) وأشياء كثيرة جدا.

كذلك ما يفعله الله بالجوارح يوم القيامة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لِيُؤْذَوْهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ [فصلت].

فهذا في حق المخلوق بدون شفتين ولا لسان ولا حنجرة ولا شيء؛ ولكن الله أنطقهم، فالله ﷻ لا يجوز أن يشبه بشيء من مخلوقاته، فهو يتكلم كما يشاء ويريد كلاماً بهذا القرآن وبغيره من الكتب التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، ويتكلم من شاء من خلقه، ويوم القيامة يكلم عباده المؤمنين فرداً فرداً كما ثبتت بذلك النصوص، فلا حاجة إلى دعوى أن كلام الله هو معنى قائم بالنفس لا لفظ ولا صوت ولا حرف ولا ولا.. كله كلام باطل.

فالحمد لله الذي وفق أهل السنة والجماعة وورثتهم إلى القول الحق في هذا الباب وفي غيره.

(بجميع جهاته) أي حروفه وألفاظه ومعانيه كلها كلام الله.

سؤال (١٠١): بعضهم يقول: إن حديث النبي عليه الصلاة والسلام «إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ»^(٢) وحديث «جبل أحد أحبه ويحبني»^(٣) بعضهم قال: إن هذه الجمادات فيها نوع حياة، هل يصح هذا القول يا شيخ؟

الجواب: الله ﷻ أنطقها بدون تكلف، هي جمادات؛ لكن من معجزات النبي ﷺ أنطقها الله.^(٤)

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (٥٠٥)، قال الشيخ الألباني: صحيح. وانظر «السلسلة الصحيحة» برقم (٢١٧٤) بنحوه.

(٢) مسلم، حديث رقم (٢٢٧٧).

(٣) البخاري، حديث رقم (٥٤٢٥). مسلم، حديث رقم (٥٤٢٥).

(٤) يقولون: إن صفة الحياة مشتركة بين كل مخلوقات الله جل وعلا، وكل حياة لها ما يناسبها، حتى الجماد له حياة تناسبه؛ حتى الشجر والحجر له حياة تناسبه، وإنما سُمي جماداً لأنه جامد في الظاهر؛ ليس له حركة ظاهرة، وإلا فإنه ليس بميت يعني لا حراك فيه ولا حياة، وإنما هو ميت باعتبار عدم الحركة، وجماد باعتبار عدم الحركة، ولهذا فإن اشتراك المخلوقات مع الرب جل وعلا في هذا الاسم وفي صفة الحياة هذا اشتراك في أصل المعنى فكل له حياة تناسبه، على حسب القاعدة المعروفة وهي أن: الصفات بما يناسب الدّوات. فالرعد يسبح لله ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣]، بل كل

[وَقَالَا:]^(١) وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

هو مستمر في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو متصل بما قبله؛ لأن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى، وذلك «أن الله تبارك وتعالى لما خلق القلم قال له: اكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة. فجرى القلم بمقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة من خير وشر»، ومن تقدير الأمور كلها من خلق المخلوقات وأعمال المخلوقات ومآل المخلوقات، إلى جنة أو نار، كل ذلك قد فرغ منه.

والإيمان بالقدر خيره وشره يستلزم السعي الحثيث في فعل الطاعات والبعد عن السيئات والمحرمات، ولا يجوز لأحد أن يحتج بالقدر فيترك الطاعات ويرتكب السيئات بحجة أن الله قد قدر، لا يجوز ذلك. لهذا لما سئل النبي ﷺ ف قيل له: هل العمل في شيء قد فرغ منه أو في شيء مستأنف؟ قال: «بل في شيء قد فرغ منه؛ ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فأما من كان من أهل السعادة فسييسر لأهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فسييسر لعمل أهل الشقاء»^(٢) فاعتبر النبي ﷺ عنوان السعادة صالح العمل وعنون الشقاء سيئ العمل، فما زاد أصحابه إلا اجتهدا في عمل الصالحات والبعد عن السيئات، قالوا: الآن نجتهد.

المخلوقات تسبح لله تعالى، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٣) [الإسراء]. بذلك يتبين أن المخلوقات فيها ما حياته بالروح، وما حياته بالنماء، والجماد له حياة خاصة تناسبه. والله أعلم.

(١) غير موجودة في «اللالكائي» و«مختصر الحجة» و«مختصر العلو».

(٢) في «مختصر العلو» بعد هذه الجملة: إن الله تعالى على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، بلا كيف أحاط بكل

شيء علما. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١) [الشورى: ١١]. هذا آخر ما في «مختصر العلو».

(٣) البخاري، حديث رقم (٤٩٤٩). مسلم، حديث رقم (٢٦٤٧).

وَحَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا [عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ] ^(١): أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [الْفَارُوق] ^(٢)، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ.

هذا بيان أيضا لمعتقد أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فأفضلهم أبو بكر الصديق بعد النبي ﷺ وبعد الأنبياء والرسل، هو خير الأمة، يليه الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يليهما عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، هؤلاء الخلفاء الذين قال في حقهم النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور» ^(٤) الحديث. فهذا هو إجماع الأمة -الذين يُعتد بهم- أن ترتيب الخلفاء في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وهم وسط بين الخوارج وبين الروافض، أهل السنة والجماعة في الخلفاء الراشدين بل وفي سائر أصحاب النبي الكريم وسط بين الخوارج الجفاة وبين الروافض الغلاة.

فأما الروافض فغلوا في علي بن أبي طالب وفاطمة، ومنهم من آله عليا، ومنهم -وهم أكثرهم- من يتقرب إلى الله بسبب الشيخين أبا بكر وعمر، ويطلق عليهما الجبت والطاغوت، ومنهم من يبغض جميع أصحاب النبي ﷺ ويغلو في علي وأهل بيته، ويبغضون أفاضل الصحابة، وعلى رأسهم أبي بكر وعمر وعثمان، يبغضونهم واتهموهم بالنفاق والتعاون على الإثم والعدوان وأنهم حرفوا القرآن.. إلى غير ذلك من الاتهامات التي ما هي إلا فجور من هذه الطائفة الرافضة وبهتان وزور.

وأما الخوارج فإنهم كفروا علياً ومن معه من الصحابة الكرام، وقتلوه واستحلوا دماءهم. وأهل السنة والجماعة عرفوا لأصحاب النبي ﷺ حقهم بدون غلو ولا تفريط، ومستندهم في ذلك أدلة الكتاب والسنة:

فالقرآن الكريم أثنى عليهم، مدحهم الله ونعتهم بأجمل النعوت، ورضي عنهم وأرضاهم، جميع أصحاب النبي ﷺ.

والسنة المطهرة كذلك كما قال النبي ﷺ: «دعوا أصحابي فإن أحداكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» ^(٥).

والسلف الصالح وأتباعهم يعرفون قدر أصحاب النبي ﷺ فيرون أن محبتهم فرض فرضها الله ﷻ في

(١) زيادة من «اللالكائي». وفي «مختصر الحجة»: ﷺ.

(٢) زيادة من «مختصر الحجة».

(٣) في «اللالكائي»: عليهم السلام.

(٤) سنن الترمذي، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح. سنن أبو داود حديث رقم (٤٦٠٧). سنن ابن ماجه، حديث رقم (٤٢، ٤٣). قال

الشيخ الألباني: صحيح. مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحزمة الزين): حديث العرابض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٩).

(٥) البخاري، حديث رقم (٣٦٧٣). مسلم، حديث رقم (٢٥٤١).

القرآن، والترضي عنهم من السنن وهدى السلف، ومحبتهم والسكوت عما شجر بينهم، هذا كله من هدي أصحاب النبي ﷺ، ومن هدي العلماء الذين جاءوا بعدهم، إلى يوم القيامة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ.

هذا فيما يتعلق بموقف الناس حيال أصحاب النبي ﷺ طرفان ووسط:

الطرف الأول الخوارج الذي كفروا علي بن أبي طالب ومن معه.

والطرف الثاني الذين غلوا في حبه حتى رفعوه عن منزلته هو وأهل بيته.

والوسط هم أهل السنة والجماعة ليسوا من أهل التفريط ولا من أهل الإفراط؛ بل هم وسط في أصحاب النبي ﷺ، وقالوا فيهم بما جاء في القرآن الكريم وبما جاء في السنة المطهرة، ولم يغيروا ولم يبدلوا.

سؤال (٠٢): من قدم علياً على عثمان فهل يعتبر مبتدعاً؟

الجواب: بعد الإجماع مبتدع. وأما قبل ذلك في وقت الشورى الذين تشاوروا وتفاهموا فيمن يلي الخلافة بعد عمر عثمان أم علي؟ واجتمعت الكلمة على أن عثمان هو الذي يلي الخلافة، فهذا بعد الإجماع من قدم عليا وقع في البدعة ومخالفة أهل السنة.

سؤال (٠٣): وصف الخلفاء الراشدين هل هو خاص بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، أم يدخل فيهم

من أمثال عمر بن عبد العزيز؟

الجواب: الخلفاء الراشدين هم الأربعة.

وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ بِهِ [رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] ^(١) وَقَوْلُهُ الْحَقُّ.

نعم، من معتقد أهل السنة والجماعة أن من شهد له النبي ﷺ له بالجنة فإنهم يشهدون له بالجنة، تصديقا لخبر رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ واقتداءً به، ولا يشكُّون ولا يترددون ولا يتوقفون، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ في كل من شهد له النبي ﷺ، ومنهم العشرة المبشَّرون بالجنة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

(١) زيادة من «اللالكائي»، وفي «مختصر الحجة»: رسوله.

وَالْتَرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ [النَّبِيِّ ﷺ] (١).

هذه سنة السلف الترحم عليهم والترضي عنهم، فترى السني إذا جاء على ذكر صحابي، قال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه، هذه طريقة السلف وأتباع السلف.

(١) في «اللالكائي»: محمد. وفي «مختصر الحجة»: محمد ﷺ.

[وَعَلَىٰ آلِهِ] ^(١) وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

نعم الترحم على الصحابة الكرام وآل محمد ﷺ، وأنهم لا يخوضون فيما شجر بينهم من الحروب أو الخلافات التي حصلت بينهم، وكلّ منهم على تأويل، والمُصيب له أجران والمخطئ له أجر وخطؤه معفو له فيه، فلا يجوز أن يخوض المسلمون في الوقائع والخلافات التي حصلت بين أصحاب النبي ﷺ ولا يسيئون بهم الظن، ولا يحاكمونهم بعد وفاتهم، ولا في حال حياتهم، وإنما يعتقدون فيهم ما ذكره أهل السنة من السكوت عما شجر بينهم ومحبتهم واعتقاد أنهم ما حصل منهم فهو على التأويل، كل واحد تأويل شيئاً من النصوص، فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر، وخطؤه معفو عنه فيه.

سؤال (١٤): أحسن الله إليك، من ادعى دعوى أنه محب للصحابة وأنه يمسك عما شجر بينهم، غير أنه إذا أراد أن يمثل بمثل سيئ جاء بالصحابة وضرب بهم الأمثلة وبما وقع بينهم، فهل يعدّ هذا محب للصحابة؟

الجواب: هذا الكلام يتنافى مع السكوت عما شجر بينهم.

سؤال (١٥): بالنسبة للترضي هل هو خاص بالصحابة؟

الجواب: هذا هو الأصل؛ لكن الترضي دعاء، إذا ترضي شخص عن عالم من العلماء وإمام من الأمة لا حرج لأنه دعاء، إذا قلت: قال الإمام أحمد رحمته الله أو الإمام الشافعي أو الإمام أبو عمرو الأوزاعي أو أبو حاتم الرازي رحمته الله، لا حرج فهو دعاء؛ لكن الذي اعتاد عليه السلف أنهم لا يمرّون باسم صحابي إلا وترضوا عنه.

.. طريقة السلف وأهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد بالجنة إلا من شهد له القرآن أو شهد له النبي ﷺ على انفراده، أما على سبيل العموم فإن المؤمنين يشهدون أن كل مؤمن مات على الإيمان فهو في الجنة لأن الله أخبرنا عن ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ [الكهف].

فالمؤمن يقرأ القرآن ويقول بما قال القرآن الكريم، بقطع النظر عن الأفراد فلان ابن فلان في الجنة فلان ابن فلان في الجنة، ولهذا النبي ﷺ لا يقول ذلك إلا بالوحي، لما جاء عكاشة بن محصن وقال: ادع الله أن يجعلني منهم -يعني من السبعين- قال: «أنت منهم»، فقام رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «سبقك بها عكاشة»^(٢)، فالشهادة بالتعيين والتخصيص لأقوام نقف مع القرآن والسنة، وما عدا ذلك كل مؤمن ومؤمنة وعلى رأسهم الصحابة الكرام في الجنة عموماً بشهادة القرآن.

سؤال (١٦): ومن شهد لهم الرسول على الشرط؟

الجواب: على طول نشهد له تصديقاً لخبر الرسول عليه الصلاة والسلام، تصديقه فيما أخبر، فإذا قال فلان في الجنة أو فلانة في الجنة أو من أهل الجنة، انتهى.

(١) غير موجودة في «اللالكائي» وفي «مختصر الحجة».

(٢) البخاري، حديث رقم (٦٥٤١). مسلم، حديث رقم (٢١٦).

توضيح السؤال: شيخ، إذا علّق الأمر -دخول الجنة أو الشهادة بالجنة- على الشرط، مثل الجارية التي كانت تصرع؟

الجواب: الجارية التي كانت تصرع وافقت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولها الجنة، لا نشك في هذا، قال: «تصبرين ولك الجنة» قالت: أصبر، ادع الله أن لا أتكشّف،^(١) إذن فلها الجنة فهي شهادة.

سؤال (٥٧): إذا ذكر أصحاب الرسول ﷺ في مجلس، هل يلزم على كل واحد أن يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

جواب: من باب السنة والفضل وترسيخ المحبة.

سؤال (٥٨): قول (سيدنا) محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هل هي مشروعة؟

الجواب: لا حرج؛ لكن لا يقال في الصلاة الإبراهيمية لأنه ما ورد، وإلا فكون النبي ﷺ سيد الأمة هذا لاشك فيه، كما قال: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر»^(٢)؟

حديث وفد بني عامر لما قالوا: أنت سيدنا. فقال: «قولوا بقولكم..»،^(٣) هذا خاف عليهم الغلو، فمن خيف عليه الغلو يُنهر؛ لكن الذي لا يخاف عليه أن يكون غاليا في حق النبي ﷺ يبين له، فما نهاهم النبي أن يقعوا في الغلو فيرفعوه في منزلته فيكونون في حرج كبير.

(١) البخاري، حديث رقم (٥٦٤٨). مسلم، حديث رقم (٢٥٧٦).

(٢) سنن ابن ماجه، حديث رقم (٤٣٠٨). قال الشيخ الألباني: صحيح. وفي «صحيح مسلم»، حديث رقم (٢٢٧٨). دون «ولا فخر».

(٣) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٨٠٦). قال الشيخ الألباني: صحيح.

وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ بَاطِنٌ مِّنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ] (١)، بِلَا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد..

ففي كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بَيَانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفات الله عمومًا الواردة في الكتاب والسنة، وفي استواء الله على عرشه خصوصًا، ويَبَيِّنُ أن أهل السنة والجماعة من معتقدهم إثبات صفة الاستواء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عرشه حقيقة كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، فيقول أهل السنة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) ﴿طه﴾، استواءً يليق بعظمته وجلاله، لا يؤولون تأويلًا فاسدًا، ولا يحرفون، ولا يعطلون، ولا يشبهون، ولا يمثلون؛ بل لله ﷻ صفاته التي تليق بجلاله، وللمخلوقين صفاتهم التي تليق بحالهم، فالله ﷻ صاحب الكمال ذاتا وأسماء وصفات، ومخلوقاته ضعيفة فهو خالقهم وبارئهم، له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة أيضا أن الله موصوف بصفة العلم، فإن علمه محيط بجميع مخلوقاته، لا يخفى عليه شيء من ذواتهم ولا من أفعالهم ولا من تصرفاتهم جميعا؛ بل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فعلمه صفة - صفة ذات - صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله، وما أوتي الخلق من العلم إلا قليلا كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) [الإسراء]، وكل علم أورثه الله خلقه فهو من علمه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما قال الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤) ﴿طه﴾، وهو العلم الشرعي لكتاب الله ﷻ وصحيح سنة النبي ﷺ.

هذا معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم باب الأسماء والصفات، بخلاف أهل البدع والضلال فإنهم حَرَفُوا وَأَوَّلُوا وَشَبَّهُوا وَعَطَّلُوا كَالْجَهْمِيَّةِ الضَّالَّةِ، والمعتزلة أتباع الجهمية، ومن شابههم في تأويل بعض الصفات كالشاعرة والكَلَابِيَّةِ والماتريدية الذين أولوا تأويلًا فاسدًا خالفوا فيه أهل السنة والجماعة.

إذ التأويل تأويلان في هذا الباب:

تأويل صحيح وهو بيان الحق في هذا الباب، وهو تأويل السلف؛ أي بيان المعاني، بيان معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا، هذا تأويل سلفي صحيح مصدره الكتاب والسنة بفهم السلف.

وتأويل فاسد تأويل أهل البدع ومن وافقهم، فالجهمية والمعتزلة وغلاة الأشاعرة، هؤلاء أهل بدع ومن وافقهم من أهل العلم في تأويل بعض نصوص الصفات يُبَيِّنُ خطؤه أيضا ويحذر من تفسيره وتأويله المذموم، إلا أنهم لا يقارنون بأهل البدع الغلاة في البدع، والذين قعدوا قواعد البدع الذين وافقوهم في

(١) في «اللاكائي» وفي «مختصر الحجة»: ﷻ.

تأويل بعض النصوص كابن حجر والنووي والشوكاني والقرطبي، وافقوا الأشاعرة في تأويل بعض النصوص ولهم علم بالتفسير والحديث، فيؤخذ بكتبهم، ولهم من الحسنات الكبيرة والأعمال الجليلة للعناية بالقرآن الكريم وتفسيره والسنة المطهرة وشرحها مما تكون أخطاؤهم بالنسبة إلى إصابتهم مغمورة بجانب الصواب.

فلا يقارنون بأهل البدع والضلال، ولا يُحذَر من كتبهم، وإنما يحذَر من كتب أهل البدع الذين قعدوا قواعد البدع وتركوا نصوص الكتاب والسنة وأتبعوا أقوال أهل الفلسفة والكلام، هؤلاء يُحذَر منهم ومن كتبهم، كما يحذر من كل مبتدع سواء في هذا الباب أو في غيره.

[وَاللَّهُ] ^(١) [تَبَارَكَ] ^(٢) وَتَعَالَى يُرَى فِي [الدَّارِ] ^(٣) الْآخِرَةِ: [وَأَبْرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ] ^(٤) وَيَسْمَعُونَ] ^(٥)
كَلَامُهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، ورؤيتهم له في عرصات القيامة ثابتة بالكتاب والسنة، وما أنكرها إلا أهل البدع والضلال.

المؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ، وهو من أكمل أنواع النعيم التي يتمتع بها المؤمنون في الجنة -نظرهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فإثبات النظر إلى الله ﷻ هو معتقد أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم.

ويستندون في ذلك إلى الأدلة من الكتاب والسنة ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ^(٢٣) [القيامة]، الأولى من النظارة والبهاء، والثانية من إثبات النظر بعيني البصر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأن الله يعطيهم في الجنة حياة الكمال، التي لم تكن معهم في الدنيا.

ففي الدنيا لا يستطيع أحد من البشر لا من المرسلين ولا ممن دونهم أن ينظر إلى الله؛ ولكن في الجنة يمن الله على أهل الجنة بالقوة والقدرة والكمال في الخلقة فينظرون إلى الله نظرا يتنعمون به وينسون كل نعيم إذا نظروا إلى خالقهم وبارئهم.

ومثل هذه الآية قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فسر النبي ﷺ الحسنَى بالحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم.

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ^(٢٥) [ق]، بعد أن ذكر الجنة وأخبر بأن لأهلها فيها ما يشاءون من النعيم المقيم قال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وفُسِّر ذلك بالنظر إلى وجه الله الكريم.

ومن السنة الكريمة قول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» ^(٦) فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

فهذا هو معتقد أهل السنة بخلاف أهل البدع الذين نفوا عن المؤمنين رؤية ربهم في الجنة كالجهمية والمعتزلة والإباضية، هؤلاء نفوا الرؤية.

لذلك قال العلماء: إن الناس في رؤية الناس لربهم عموما طرفان ووسط:

الطرف الأول غلو في الإثبات فأثبتوا الرؤية في الدنيا والآخرة، كغلاة الصوفية.

والطرف الثاني نفوا رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نفوا رؤية المؤمنين لربهم نفيا باتا، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

(١) في «اللالكائي»: وأنه.

(٢) غير موجودة في «مختصر الحجة».

(٣) زيادة من «مختصر الحجة».

(٤) غير موجودة في «اللالكائي» و«مختصر الحجة».

(٥) زيادة من «اللالكائي» و«مختصر الحجة».

(٦) البخاري، حديث رقم (٤٨٥١). مسلم، حديث رقم (٦٣٣).

فالطرف الأول معه بعض الحق ومعه باطل، والطرف الثاني معه بعض الحق ومعه باطل.
والقول الوسط لأهل السنة والجماعة بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يراه المؤمنون في الجنة حقيقة ولا يرونه في الدنيا، لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى جواباً لموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عندما قال: ﴿رَبِّ ارْنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، مما يدل على أن الله لا يُرَى في الدنيا وأما في الآخرة في الجنة فإنه يرى كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.
(كَلَامُهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ) من معتقد أهل السنة والجماعة إثبات صفة الكلام لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والكتب المنزلة كلها كلام الله ﷻ لا كلام غيره، التوراة التي كتبها لموسى بيده، والإنجيل الذي أنزله على عيسى، وصحف إبراهيم وموسى، والفرقان على محمد عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلها كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

إذن فالكلام صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تليق بعظمته وجلاله، هو صفة ذات باعتبار اتصاف الله به أزلاً وأبداً، وصفة فعل باعتبار تكلم الله به بمشيئته واختياره متى شاء من شاء.
هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، أن الله متكلم كما أخبرنا الله في القرآن ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وغير ذلك من النصوص.

وفي السنة المطهرة كثير من النصوص التي تدل على إثبات صفة الكلام لله ﷻ، كقوله ﷻ: «ما منكم إلا سيكلمه ربه ﷻ ليس بينه وبينه ترجمان»^(١) وكذلك «ينادي الله ﷻ آدم: يا آدم ابعث بعث النار. فيقول: من كم يا رب؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين»^(٢)، إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على إثبات صفة الكلام لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وخالف في ذلك أهل البدع من الجهمية المعطلة والمعتزلة الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق. والأشاعرة ومن لف لفهم الذين قالوا: إن كلام الله معنى لا بحرف ولا بصوت، كل ذلك تخبط ليس لهم مصدر لا من الكتاب ولا من السنة، فخالفوا أهل السنة والجماعة الذين يعتمدون في أقوالهم على نصوص الكتاب والسنة.

(١) البخاري، حديث رقم (٦٥٣٩). مسلم، حديث رقم (١٠١٦).

(٢) البخاري، حديث رقم (٦٥٣٠). مسلم، حديث رقم (٢٢٢).

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لَا [تَفْنِيَانِ] ^(١) أَبَدًا، [فَ] الْجَنَّةُ ثَوَابٌ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ [اللَّهُ ﷻ] ^(٢).

هذا معتقد أهل السنة والجماعة في الجنة والنار وأنهما داران خلقهما الله تبارك وتعالى، وقال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»، وقال للنار: «أنت عذابي أعذب بك من أشاء» ^(٣)، فهما مخلوقتان، وقد رآهما النبي ﷺ وهو من خصائصه، وأنهما لا تفنيان. أما الجنة فلا تفنى أبدا ولا يفنى منها شيء أبدا، من دخلها يخلد لا يموت، لا يفنى شبابه ولا تبلى ثيابه، خلود بلا موت.

وأما النار فدركات وطبقات، التي هي للكفار دار الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي، هؤلاء لا يموتون فيها ولا يحيون، فهي لا تفنى بل هي باقية كما أخبرنا الله ﷻ في القرآن بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ^(٤)، وبقوله: ﴿لَبِثَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ^(٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ^(٦) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ^(٧) جَزَاءً وَفَاقًا ^(٨) [النبا]، وبقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ ^(٩) [فاطر]، وبقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ﴾ ^(١٠) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوْنَ ^(١١) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ^(١٢) [الزخرف]، إلى غير ذلك من نصوص القرآن الكريم التي فيها إثبات بقاء النار التي هي للكفار وأنها لا تفنى أبد الآبدين.

وأما طبقة من النار فيه تفنى وهي دار العصاة، أعلى طبقة من طبقات النار نار العصاة من الموحدين، فعصاة الموحدين عند أهل السنة والجماعة يُخرجهم الله تبارك وتعالى من النار، من عذبه الله من عصاة الموحدين بالنار أخرجها منها بعد أن يجازيه بقدر جريمته ويخرجه من النار إلى الجنة، كما في أحاديث الشفاعة وغيرها يقول الله تعالى للشافعين: «اذهبوا فممن وجدتموه في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه» ثم قال: «نصف دينار»، ثم قال سبحانه: «من وجدتموه في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه» ^(١٣) فيُخرجهم الله تبارك وتعالى بفضلهم ورحمته ثم بشفاعة الشافعين، فلا يبقى في هذه الطبقة أحد من عصاة الموحدين، فهذه تفنى كما هو مقتضى النصوص.

وأما دار الكفار الكفر الأكبر والمشركين الشرك الأكبر وأهل النفاق الاعتقادي، وأهل الإلحاد المخرج من الملة، فهؤلاء لا يموتون فيها ولا يحيون، ولا تفنى دارهم، كما ثبت في النصوص القرآنية والنبوية، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار أوتي بالموت

(١) في «اللالكائي» و«مختصر الحجة»: يفنيان.

(٢) في «اللالكائي»: و.

(٣) زيادة من «اللالكائي».

(٤) البخاري، حديث رقم (٤٨٥٠). مسلم، حديث رقم (٢٨٤٦).

(٥) سورة: الأحزاب (٦٥)، الجن (٢٣).

(٦) البخاري:، حديث رقم (٧٤٣٩). مسلم، حديث رقم (١٨٣).

في صورة كبش أملح، ويوقف بين الجنة والنار، فينادي في أهل الجنة: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وينادي في أهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. فيذبح وهم يشاهدون، فيقال لأهل الجنة: خلود ولا موت، ويقال لأهل النار: خلود ولا موت.^(١) وهذا الحديث من الأدلة على أن الجنة لا تفنى أبداً، وأن دار الكفار - النار - لا تفنى أبداً وإنما تفنى دار عصاة الموحدين لأن الله ينقلهم منها إلى الجنة وربك يفعل ما يشاء ويريد.

(١) البخاري، حديث رقم (٤٧٣٠). مسلم، حديث رقم (٢٨٤٩).

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ.

(وَالصِّرَاطُ حَقٌّ) يشبه أهل السنة والجماعة؛ لأنه ثابت بنصوص السنة المطهرة، وثابت أيضا بالقرآن الكريم على أصح التفسير في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) [مريم]، ففسر العلماء الورود بالمرور على الصراط، وأخبر النبي ﷺ أن الصراط يُمَدُّ على متن جهنم فتعبه الخلائق على قدر أعمالها، وهذا نص صحيح صريح في أن الجسر الذي هو الصراط ينصب على متن جهنم وأن الخلائق تعبته على قدر أعمالها، منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم يمر كالرياح المرسلة، ومنهم من يمر عليه كأجاويد الركاب، ومنهم من يُسحب سحباً، ومنهم من يكردس في النار تخطفه الكلايب. وقد جاء في الأثر في وصفه أنه أحد من السيف وأدق من الشعر.

فتؤمن به كما جاءت بذلك النصوص، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وبالنسبة لذكر الصراط، فقد ذكر العلماء رحمهم الله أن الصراط صراطان:

• صراط حسي.

• وصراط معنوي.

فالصراط الحسي هو الذي ينصب على متن جهنم وتعبه الخلائق على قدر أعمالهم. وصراط معنوي وهو التكاليف التي كلف الله بها المكلفين أجمعين، من أولى الأمم وآخرهم؛ التكاليف الشرعية؛ الأوامر والنواهي، والحلال والحرام.. وغير ذلك مما كلف الله ﷻ به المكلفين من أولى الأمم وآخرها.

فمن ثبت على الصراط المعنوي ثبتته الله على الصراط الحسي، ومن لم يثبت على الصراط المعنوي فالحزاء عند الله من جنس العمل؛ لا يثبت على الصراط الحسي.

ويدل لذلك تعليم الله تبارك وتعالى لخلقه ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]، والمراد به الطريق الموصل إلى الجنة وهو الصراط المعنوي أي دلنا وأرشدنا وثبتنا على الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، ويدل له قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام]، وقوله ﷺ: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٣٠] [الأحقاف]، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على أن الصراط المعنوي هو ما كلف الله به الخليقة من الأوامر والنواهي والفرائض والواجبات وغير ذلك من التكاليف، هذا معتقد أهل السنة والجماعة.

سؤال (٠٩): هل الأمور الغيبية والصفات يجوز أن نبينها ونصنفها للناس على طريقة التمثيل؟

الجواب: يجوز أن نبين معانيها لا كيفياتها، كيفيات الصفات طريقة السلف فيها التفويض، كيفية صفات الله، كيفية ذات الله وصفاته التفويض فيها، علمها عند الله وكيفية الأمور التي أخبر الله ﷻ عنها وأخبر عنها رسوله عليه الصلاة والسلام من أمور الغيب نؤمن بها وبحقيقتها ووقوعها ومعانيها، نبين معانيها؛ ولكن لا نستطيع أن نبين كيفياتها، المؤمنون يؤمنون بالجنة وما فيها من النعيم المقيم حقيقة، وأنه كما أخبر الله عن ذلك ووصف ذلك؛ ولكن لا نستطيع تحديد كيفياتها، إلا ما جاء ذكره في النصوص

في وصف ثمار الجنة ونعيمها، وأما الكيفية فلا يستطيع أحد أن يبينها. إذن من مذهب السلف ومعتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته والأخبار عن المغيبات والإيمان بها حقيقة كما أخبر الله وأخبر رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وبيان معانيها وتفويض علم الكيفية إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

سؤال (١٠): ما هو الدليل على فناء نار العصاة؟

الجواب: الدليل أنهم يخرجون منها جميعاً، وجاء في الخبر أنها تصطفق أبوابها؛ يعني لا يكون فيها أحد، هذه لا غرابة أنها تفنى، خرجوا منها، ومقتضى الحكمة الإلهية أنه لا فائدة في وجودها، لذا قال العلماء ولا يستندون إلا إلى أدلة (يأتي عليها يوم تصطفق أبوابها) أي لا يوجد فيها أحد أما أهلها فإنهم يخرجون جميعاً فنيت أو بقيت، والذي -والله أعلم- يدل على حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنها لا تبقى، وأما نار الكفار فهي الباقية الدائمة.

وَالْمِيزَانُ [الَّذِي] ^(١) لَهُ كِفَتَانِ [يُوزَنُ] ^(٢) فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ.

إثبات الميزان وأن له كفتان مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح، وأنه توزن فيه السيئات والحسنات ويوزن العامل وعمله وصحيفته، وعلى هذا دللت الآيات كقول الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ^(٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ^(٩) [الأعراف]، ودل عليه قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ^(٤٧) [الأنبياء].

وأخبر النبي ﷺ عن الميزان وأن له كفتان إحداهما توضع فيها الحسنات والأخرى توضع فيها السيئات، ولا يوزن إلا من له حسنات وسيئات، وأما من ليس لهم شيء من الحسنات كالكفار والمنافقين والمشركين الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الاعتقادي هؤلاء لا توزن أعمالهم كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ ^(١٠) [الكهف]، وإنما يدعون إلى النار دعاءً، فالوزن لأهل الحسنات والسيئات ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(٦) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ^(٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ^(٩) [القارعة]، قيل إن أمه هاوية أنه يهوي على أم رأسه في النار، وقيل: إن (هاوية) اسم من أسماء النار، فهي أمه أي تضمه إليها كما تضم الأم ولدها إليها.

وأهل البدع ينكرون الميزان، فالمعتزلة ومن قلدهم في أقوالهم ينكرون الميزان بحجة أن الله يعلم كل شيء، فلا يحتاج إلى وزن شيء من عباده، وهذه الحجة حجة شيطانية؛ لأن فيها رد للقرآن الكريم، فالقرآن يثبت الميزان والسنة تثبت الميزان وأن له كفتان، فأى قول يأتي يبطل هذه النصوص فهو قول مردود على صاحبه، وجاء في السنة أن النبي ﷺ قال في حق عبد الله بن مسعود: «أتعجبون من دقة ساقيه لهما في الميزان أثقل من أحد» ^(٣) وهو دليل من السنة أيضاً، ودليل من القرآن الكريم، فلا وجه لمن ينكر ذلك ويقول: إن الله يعلم أعمال عباده فلا يحتاج إلى وزن.

نعم الله عليهم بكل شيء وخبير بكل شيء؛ لكن ما أثبتته النصوص يجب أن نثبتته وأن نعتقد صحته على مراد الله ومراد رسوله.

سؤال (١١): من هم الذين يسقطون في النار عند مرورهم على الصراط هل هم الكفار أم هم أهل

المعاصي؟

الجواب: أهل المعاصي والموبقات التي أوبقتهم معاصيهم، وهم من أهل التوحيد، ما طهرتهم المواقف لا مصائب الدنيا ولا مواقف الآخرة؛ بل بقي فيهم خُبث لا بد أن يطهرهم الله في النار فتخطفهم الكلايب؛ إذ أن على الصراط كلايب تخطف العصاة بقدر جرائمهم، وأما الكفار فإنهم يدعون إلى نار

(١) في «اللالكائي»: حق.

(٢) في «مختصر الحجة»: توزن.

(٣) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر): مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم (٣٩٩١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. أورده الشيخ الألباني في

«السلسلة الصحيحة» برقم (٢٧٥٠، ٣١٩٢).

جهنم دعا.

سؤال (١٢): هنا وردت نصوص في إثبات الشمال لله ﷻ، فكيف الجمع بينها وبين الحديث «كلتا

يدي ربي يمين»^(١)؟

الجواب: جمع بينها الحديث الآخر «وكلتا يدي ربي يمين» فيحمل المجمل أو المشكل على المبين المفسر، ولو قيل: إن الله شمال فليست شماله كشمال الخلق؛ بل صفاته صفات كمال وجلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فليس الأمر مشكلاً.

سؤال (١٣): الموحدون هم فقط الذين توزن أعمالهم في الميزان؟

الجواب: نعم من أهل المعاصي والسيئات الذين لهم حسنات وسيئات، أما الذين لا حسنات لهم فهم وقود النار.

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (٣٣٦٨). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه. قال الشيخ الألباني: حسن

صحيح.

[وَقَالَا:]^(١) وَالْحَوْضُ الْمُكْرَمُ بِهِ نَبِينَا [ﷺ] حَقٌّ.

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بالحوض الذي أعطيه النبي ﷺ لأمته يوم القيامة، فهم يثبتونه بخلاف أهل الأهواء كالمعتزلة الذين لا يؤمنون بالحوض ولا بالشفاعة ولا بالميزان. والحوض غير الكوثر، فأعطي النبي ﷺ الحوض وأعطى الكوثر وقد أنزل الله تبارك وتعالى في الكوثر سورة قصيرة هي قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝۱﴾ [الكوثر]، وهو نهر عظيم في الجنة، أكرم الله به محمدا ﷺ وأمته، وأعطاه الحوض الذي يستمد مادته من الكوثر، فالكوثر يصب فيه، وقد وصفه النبي ﷺ، وصف الحوض، ووصف ماءه، ووصف طوله وعرضه، كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في الحوض: «طوله وعرضه سواء»^(٢) أي مسيرة شهر وقال: «ماؤه أشد بياضا من اللبن وأشد حلاوة من العسل وأنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يضمأ بعدها أبدا»^(٣)، فأمن بذلك أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر.

(١) غير موجودة في «اللاكاثي» و«مختصر الحجة».

(٢) زيادة من «مختصر الحجة».

(٣) مسلم، حديث رقم (٢٣٠٠). بلفظ «عرضه مثل طوله».

(٤) البخاري، حديث رقم (٦٥٧٩). مسلم، حديث رقم (٢٢٩٢).

[وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ.]^(١)

(وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ) يثبتها أهل السنة والجماعة؛ لأن النصوص من القرآن والسنة أثبتتها. والكلام على الشفاعة، أولا الشفاعة شفاعتان:

• شفاعة مثبتة.

• وشفاعة منفية.

فالشفاعة المنفية هي التي نفاها القرآن ونفتها السنة، وهو ما يعتقد المشركون في آلهتهم أنهم يشفعون لهم، فهذه منفية، ليس لها أصل.

وشفاعة مثبتة وهي أنواع متعددة، منها ما هو خاص بالنبي ﷺ، ومنها ما هو عام يشترك فيه مع النبي ﷺ وغيره.

فالشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ التي يطلبها الخلائق يوم القيامة من الأنبياء^(٢) من أولي العزم، وكل واحد يعتذر لشدة الهول وشدة خوفهم من الله تبارك وتعالى واستحيائهم منه، كل واحد يعتذر، إلا نبينا محمدا ﷺ فإنه يقول: «أنا لها»^(٣) لأن الله ﷻ قد وعده بأن يكون هو شفيع الأمة في فصل القضاء بينهم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٤) [الإسراء]، والمقام المحمود طلبه من الله ﷻ أن يشفعه في الأمة فيشفعه ويفصل بينهم حتى يكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

وهذه خاصة بالنبي ﷺ لم يشركه فيها غيره.

وشفاعة أيضا خاصة بالنبي ﷺ في استفتاح باب الجنة لزمرة من أمته، فأول من يستفتح باب الجنة هو محمد ﷺ، فيستأذن فتدخل أول زمرة من أمته كما قال النبي ﷺ: «وجوهم كالقمر، والتي تليها وجوهم على أضواء كوكب دري في السماء»^(٥) وهكذا بحسب الأعمال.

وشفاعة خاصة به وهي شفاعته في عمه أبي طالب، الذي بذل معروفًا وإحسانًا إلى النبي ﷺ؛ حيث حماه من الأعداء، غير أنه لم يؤمن به، ما رده إلا الكبر وخوف العار؛ أن يعييره الكفار بأنه تابع محمدا وترك ملة آبائه، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، سبقت له الشقوة؛ لأنه ليس أهلا للخير، إلا أن النبي ﷺ شفع فيه ليخفف عنه العذاب، ولما قيل للنبي ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك ويمنعك، فهل نفعته بشيء؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٦) فهي شفاعة تخفيف ولكن لا خروج له من النار أبدا، بل هو كما قال النبي ﷺ: «في ضحضاح من نار».

(١) غير موجودة في «مختصر الحجة».

(٢) وقد طلبت من آدم وقد قال الله فيه: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزَمًا﴾^(١٥) [طه: ١١٥].

(٣) البخاري، برقم: (٧٥١٠). مسلم، برقم: (١٩٣).

(٤) مسلم، حديث رقم (٢٨٣٤).

(٥) البخاري، حديث رقم (٣٨٨٣). مسلم، حديث رقم (٢٠٩).

والضحضاح في اللغة هو الماء الذي يُرى من القاع، ولكنه من جهنم -والعياذ بالله- التي وقودها الناس والحجارة. هذه الشفاعات خاصة.

والشفاعات العامة التي يشترك فيها النبي ﷺ وغيره، هي الشفاعات في عصاة الموحدين التي أنكرتها المعتزلة والخوارج، أنكروا هذه الشفاعة في عصاة الموحدين.

والله ﷻ أثبتها والنبي ﷺ أثبتها، فالله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فهو يأذن في الشفاعة لأهل التوحيد؛ أي ما ماتوا على الشرك الأكبر ولا على الكفر الأكبر ولا على النفاق الاعتقادي، ماتوا على التوحيد والصلاة. ولكن ارتكبوا موبقات من الذنوب، ما تخرجهم من الملة، وإنما تضعف إيمانهم وتنقص الإيمان؛ ولكن الشفاعة ثابتة لهم كما قال النبي ﷺ: «جُعِلَتْ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(١).

وتشفع الملائكة والرسل والأنبياء والصالحون كلهم يشفعون فيمن دخل النار وهو من أهل التوحيد، والله أذن لهم جميعاً في ذلك، فيخرج من النار بفضل الله ثم بشفاعة الشافعين أقوام قد صاروا حمماً جازاهم الله بقدر جرائمهم وأخرجهم من النار إلى الجنة، كما قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان»، ويخرج الله أقواماً لم يعملوا خيراً قط إلا أنهم لم يشركوا بالله تبارك وتعالى ولم يموتوا على عمل يستحقون به الخلود في النار، وهو متعلق بهذا بقوم مخصوصين، وليس عاماً بكل من لم يعمل خيراً قط، العموم مستبعد، ولكنه يحمل على قوم مخصوصين لهم...^(٢)

هذه من الشفاعات والتي ينكرها أهل الأهواء هي الشفاعة في عصاة الموحدين.

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (٢٤٣٥). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) انتهى الشريط الأول.

[وَأَنَّ [نَاسًا] (١) مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَخْرُجُونَ بِالشَّفَاعَةِ حَقًّا، وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ.] (٢)

سبق الكلام في الشفاعة وأن الله يخرج أقواما من النار بشفاعة الشافعين؛ برضاه ﷺ للشافع أن يشفع وبرضاه عن المشفوع فيه أن يشفع فيه الشافع؛ لأن الشفاعة ملك لله ﷻ، لا يستطيع أحد أن يتصرف فيها؛ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لا أحد، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فالشفاعة حق كما جاءت بها نصوص الكتاب والسنة.

ونعيم القبر وعذابه حق، نعيم القبر للمؤمنين وعذاب القبر للمجرمين، وهو أول منزل من منازل الآخرة، إما نعيم مقيم وإما عذاب أليم، حتى تأتي الدار الآخرة فيزداد نعيم المؤمنين ويكتمل ويعم الروح والبدن على حد سواء؛ بينما النعيم في البرزخ هو للروح أكمل منه للجسد، وإن كان الجسد ينال حقه؛ ولكن في حق الروح أكمل، فإذا جاء يوم القيامة اكتمل النعيم وشمل الروح والجسد لأن الأرواح تعود إلى أجسادها التي كانت تعمرها في الحياة الدنيا، فيكتمل النعيم للروح والجسد.

والعذاب كذلك، عذاب القبر حق لأهل الإجمام من كافرين ومنافقين وملاحدة ومجرمين ولو كانوا من أهل الإسلام إلا أنهم ارتكبوا موبقات أوجبت لهم عذاب القبر.

فإذا كان يوم القيامة اكتمل عذابهم واشتد وما عذاب البرزخ إلا عذاب أدنى كما ذكره الله ﷻ في القرآن: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، ويكون على الروح والجسد في الحياة البرزخية وهو في حق الروح أكمل، وفي الآخرة على الروح والجسد على حد سواء، تعاد أرواحهم إلى أجسادهم ويخزيهم الله تبارك وتعالى بالعذاب. فأما عصاة الموحدين فمآلهم الجنة وأما غيرهم من الكفار فهم خالدون مخلدون فيها أبدا.

(١) في «مختصر الحجّة»: أناسا.

(٢) غير موجودة «اللالكائي».

[وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ.]^(١)

منكر ونكير ملكان كريمان موكلان بسؤال الموتى في الحياة البرزخية، سواء دفنوا في باطن الأرض أو لم يدفنوا في باطن الأرض، بدون أن يتعرض أحد للكيفية - كيفية السؤال والنعيم أو العذاب -، هذا يفوض علمه إلى الله تبارك وتعالى مع الإيمان بوقوعه وأنه حق.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه «إذا مات العبد أتاه ملكان» إذا مات وأدخل في قبره «أتاه ملكان فيجلسانه ويسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيشته الله، فيقول: الله ربي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي» وهذا التشيت من الله ﷻ؛ لأنه أتى بسببه في الحياة الدنيا من إقامة الفرائض والواجبات والابتعاد عن المحرمات والخوف من الله ﷻ والرجاء فيما عنده من النعيم والخير، فالله يشبتهم كما قال الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) [إبراهيم]، قال علماء التفسير: نزلت في نعيم القبر وعذابه وفي المسألة.

وأما الكافر والمجرم - والعياذ بالله - فلا يوفق في الإجابة؛ لأنه ما أتى بأسباب التوفيق والسداد له والإلهام، ما أتى بأسبابها في حياة العمل فكان شأنه أنه لا يستطيع أن يجيب بما فيه نجاته؛ بل يقول: هاه هاه لا أدري، «يسألانه، فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقال له: لا دريت ولا تليت»، دعاء عليه «فيضرب بمرزبة من حديد حتى يصير تراباً، ثم يعود كما كان فيضرب فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين ولو سمعوا لماتوا»^(٢).
هذا ما دلت عليه النصوص يؤمن به أهل السنة والجماعة الذين آمنوا بما أنزل الله ﷻ في الكتاب والسنة على مراد الله ونهج رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) غير موجودة «اللالكائي».

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٧٥٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

[وَالْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ حَقٌّ.]^(١)

كذلك من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بوجود الكرام الكاتبين، وهم ملائكة كرام مدحهم الله وأثنى عليهم، فهم الأمناء على أعمال العباد والموكلون بكتابتها ما كان منها من خير وما كان منها من شر، كما قال الله ﷻ: ﴿كَرَامًا كَتِيبِينَ ۝ يِعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار]، فوصفهم الله بأنهم كرام فلا يتطرق إليهم أي سوء أو ظلم للخلق أبداً.

ثم هم الذي يكتبونه على العباد يستنسخونه من اللوح المحفوظ، فلا يختلف أبداً، ما يفعله العباد من أقوال سيئة أو أعمال صالحة وأفعال غير صالحة لا يختلف عما سطر في اللوح المحفوظ أبداً، وهذا يدل عليه قول الله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الجاثية]، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، وأصل الأعمال خیرها وشرها هو اللوح المحفوظ، وجميع ما يصدر في الكون كله قد سطر في اللوح المحفوظ، هذا معتقد أهل السنة والجماعة.

فالكرام الكاتبون أحدهما يكتب الحسنات، والثاني يكتب السيئات، وقد جاء في الأثر أن ملك اليمين أمين على ملك الشمال، فإذا فعل العبد طاعة حسنة كتبت عشرة فوراً، وإن فعل سيئة قال له ملك اليمين: أمسك لعله يتوب أو يستغفر، فإن تاب واستغفر ما كتبت عليه، وإن لم يتب ولم يستغفر كتبت عليه سيئة واحدة، بينما الحسنة تكتب عشرة وتضاعف إلى أضعاف كثيرة.

وهذا دليل على سعة رحمة الله ﷻ وعموم مغفرته لمن يستحق الرحمة والمغفرة، وقال ﷻ: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾ [ق]، أي حاضر ومهيأ لكتابة ما يلفظ من قول، وهذا عام يتناول كل ما ينطق به اللسان من خير أو شر أو مباح، هذا مدلول الآية؛ ولكن الله يثيب على الخير ويعاقب على الشر، والمباح لا يترتب عليه جزاء، اللهم إلا ما كان وسيلة إلى خير فإنه يكتب لصاحبه؛ لأن الوسيلة لها حكم الغاية، والعكس بالعكس ما كان وسيلة إلى شر من المباحات فهو شر.

والكرام الكاتبون لا يفارقون المكلفين أبداً، ولا يمكن أن يخفى عليهم شيء؛ لأن الله أعطاهم قدرة وطاقة وعلماً يعلمون به جميع الأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال والأفعال، كلها معلومة للكرام الكاتبين؛ لأن الله ﷻ خصهم بذلك، واختار لهم هذه الوظيفة العظيمة الجليلة؛ كتابة أعمال بني آدم، ويبدؤون فيها من وقت البلوغ - بلوغ الحلم - أين يجري قلم التكليف، وقبل ذلك في الصغر مرفوع القلم عن الصغير حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، كما ثبت عن النبي ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصغير حتى يبلغ»^(٢) ويجري قلم التكليف عليهم والبلوغ طبعاً بخمسة عشرة سنة ذكراً وأنثى، وقد يكون لأقل من ذلك لاسيما في النساء قد يكون البلوغ في أقل من خمسة عشرة سنة، لأربع عشرة، لعشر لتسع، لذا قالت

(١) غير موجودة في «اللالكائي».

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم (١٤٢٣). سنن ابن ماجه، حديث رقم (٢٠٤١). قال الشيخ الألباني: صحيح.

عائشة رضي الله عنها: إذا بلغت الجارية تسع سنوات فهي امرأة. ^(١) يعني صالحة للاستمتاع، فإن بلغت جرى عليها قلم التكليف، وإلا فمتى بلغت الحلم جرى عليها قلم التكليف، وهكذا الذكر بلوغ خمسة عشرة سنة، أو إنبات الشعر، على القبل أو على الشارب، أو إنبات اللحية، هذه علامات البلوغ.

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (١١٠٩). وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

وَالْبَعْثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَقٌّ.

(وَالْبَعْثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَقٌّ) وهو ركن من أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان عبد إلا بها جميعا. ومن أنكر البعث أو شك فيه فقد كفر كفرا أكبر يخرج من الملة؛ لأن الله ﷻ أخبر بذلك في آيات متعدّدات، كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وهو يوم البعث والنشور، وكما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق]، أي يكشف عن الأمور المخبّأة في الدنيا، يكشف عنها يوم القيامة، كما قال ﷻ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة]، وكما قال سبحانه: ﴿تَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [٤٢] ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ [٤٣] إِلَى رَبِّكَ مُنْهَلَاً﴾ [٤٤] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ [٤٥] ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [٤٦] [النازعات]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر]، فوعد الله حق وهو مجيء القيامة والجزاء على الأعمال والإيمان فرض للبعث والنشور والجزاء كما وصف الله وكما أخبر عليه الصّلاة والسّلام بقوله: «إنكم تحشرون إلى ربكم حفاة عراة غرلا»^(١) وفي رواية «بُهِمَا»^(٢).

سؤال (١٤): اختلاف الصحابة في بعض المسائل يسمى اختلاف تنوع أو اختلاف أفهام؟

جواب: نعم اختلاف تنوع، وقد يكون خلاف تضاد في الفروع في المسائل العملية، قد يكون كذلك، في تفسير بعض الآيات في بعض الأعمال. أما في الأصول فإنهم لا يختلفون، الأصول ثابتة؛ فرائض الإسلام - شرائعه - لا يختلف الصحابة ولا أئمة العلم؛ لكن في العمليات يحصل الخلاف، نعم هذا اختلاف أفهام؛ لكن ليس بينهم تضاد في الأصول إنما هو اختلاف تنوع.

(١) جمع أغرل؛ أي غير مختونين.

(٢) البخاري، حديث رقم (٦٥٢٧). مسلم، حديث رقم (٢٨٥٩).

(٣) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحزمة الزين): حديث عبد الله بن أنيس، حديث رقم (١٥٩٨٤). معنى (بُهِمَا) ليس معهم شيء، كما فسره رسول

[وَقَالَا:]^(١) وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ.

الحمد لله، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه. من معتقد أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر الذين أسرفوا على أنفسهم وهم من أهل التوحيد والصلاة أنهم تحت مشيئة الله ﷻ = إن شاء عفا عنهم فلم يدخلهم النار، وإن شاء أدخلهم إلى النار بقدر ذنوبهم، ومآلهم إلى الجنة، بفضل الله ﷻ ثم بشفاعته الشافعين، إذ أن الله يأذن في الشفاعة للموحدين، فتشفع الملائكة، ويشفع الرسل والأنبياء، ويشفع المؤمنون حتى لا يبقى في النار أحد من أهل التوحيد والصلاة.

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، فليسوا كالخوارج والمعتزلة، طائفتان من الطوائف الهالكة قالوا بخلود عصاة الموحدين في النار، إذ عندهم من ارتكب كبيرة ومات ولم يتب ولو كان من أهل التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، فهو عندهم خالد مخلد في النار، فتحجروا واسعا، والله ﷻ واسع المغفرة لمن يستحق المغفرة من أهل التوحيد والصلاة الذين ما ماتوا على الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي، وإنما ماتوا على التوحيد وعلى شعائر الإسلام.

سؤال (١٥): الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٣﴾ [محمد]، إبطال

الأعمال..؟

الجواب: إبطالها بمعنى إبطال ثوابها وذلك بأنواع وأسباب: منها أن يشرع الرجل في عبادة فيتركها بدون عذر، هذا إبطال. ومنها أن يتصدق بصدقة لا يخلص فيها وهذا إبطال للثواب. ليس المراد إلا ذلك؛ بل كل سبب يبطل به ثواب العبادات وتبطل به العبادة نفسها فهو داخل تحت الآية ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ أي لا تتسببوا في بطلانها أو بطلان ثوابها.

(١) غير موجودة في «اللائكائي» و«مختصر الحجة».

وَلَا تُكْفِّرُ [أَحَدًا مِنْ] أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ، وَنَكِلُ [سَرَائِرَهُمْ] ^(١) إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

هذا معتقد أهل السنة والجماعة؛ أنهم لا يكفرون أهل القبلة بذنوبهم، والمراد بأهل القبلة الموحدين الذين وحدوا الله عَزَّ وَجَلَّ وأقاموا فرائضه، مهما ارتكبوا من الذنوب -الكبائر والصغائر- فإن أهل السنة والجماعة لا يحكمون على أحد منهم بالكفر ولو مات على ذلك؛ ولكن أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن ويخافون على المسيء، والعصاة تحت مشيئة الله -كما سبق- إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، ولا يكون خالدا في النار إلا الكفار والمشركون والمنافقون نفاقا اعتقاديا والملحدون الذين يخرجهم إلحادهم من الملة، وأما عصاة الموحدين فلا يجوز لأحد أن يكفرهم بذنوب دون الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، فمن فعل ذلك فقد سلك مسلم المعتزلة والخوارج؛ لأنهم هم الذين يكفرون بالذنوب.

أما الخوارج فيحكمون على مرتكب الكبائر بالكفر في الدنيا والآخرة، في الدنيا كافرا حلال الدم والمال، وفي الآخرة يكون خالدا مخلدا في النار إذا مات بدون توبة.

والمعتزلة يخالفونهم في الحكم الدنيوي فيقولون: هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، والمراد بالمنزلتين الكفر والإيمان، وأما في الآخرة فيتفقون مع الخوارج بالقول بخلود عصاة الموحدين في النار. وهؤلاء فارقوا أهل السنة وقالوا على الله بغير علم، فارتكبوا ذنبا عظيما وتحجروا واسعا وتركوا القول بالنصوص التي فيها الجمع بين نصوص الوعد والوعيد، فبطل قولهم واستقام قول أهل السنة والجماعة الذين أخذوا بجميع النصوص وجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد.

(١) زيادة من «مختصر الحجة».

(٢) في «اللاكائي»: أسرارهم.

وَنَقِمْ فَرَضَ [الْجِهَادِ وَالْحَجِّ] ^(١) مَعَ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ، وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى الْأَيْمَةِ وَلَا الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ، وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ ﷻ ^(٢) أَمْرًا وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة بأنهم يرون عِلْمَ الجهاد، وأن فرض الجهاد قائم إلى يوم القيامة؛ ولكن بشروط، إذا توفرت شروط الجهاد وانتفت موانعه لزم القيام به، وهو فرض كفاية، الجهاد فرض كفاية، إلا في ثلاثة مواطن فهو فرض عين:

الأول: إذا نزل العدو بالمسلمين وجب على من نزل بهم أن يقاتلوهم ويستنصروا الله ﷻ عليهم مهما كان حالهم.

ثانيا إذا دعا الإمام وعيّن قوما واستنفرهم للجهاد في سبيل الله وجب عليهم طاعته، وتعين عليهم أن ينفروا، إلا من أعذرهم الله كالأعمى والأعرج والمريض الذي فقد القدرة.

والموطن الثالثة إذا حضر المؤمن موطن القتال ومعرفة القتال لا يجوز له أن يفر من جوه الكفار؛ لأن الفرار إثم وكبيرة من كبائر الذنوب وقد حضر موطن القتال، لأن الله ﷻ حذر من ذلك لقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فُجَاءَةً فَاقْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال]، فأمر الله بالثبات ونهى عن الفرار.

هذه الموطن الثلاثة يكون الجهاد فيها فرض عين، وما عدا ذلك فهو فرض كفاية متى توفرت شروطه وانتفت موانعه فإنه يكون فرض كفاية؛ إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

والجهاد يعقد رايته وألويته سلطان له البيعة في أعناق المسلمين على إقليم واحد أو أقاليم من الأرض، المهم أنه بسط يده على إقليم من أقاليم الأرض فالذين في هذا الإقليم في أعناقهم بيعة لهذا السلطان وجب عليهم أن يجاهدوا تحت لوائه ولا يخرجوا عن طاعته في المعروف، وسواء كان هذا السلطان من أهل البر أو كان جائرا وظالما طالما هو من المسلمين.

ثم من مذهب أهل السنة والجماعة ومعتقدهم أنهم لا يخرجون على السلطان في الأرض ولو كان جائرا وظالما لهم، لا يخرجون عليه لا بالكلمة التي تؤلب على الخروج فعلا، ولا بالخروج بالفعل كما يفعل الخوارج في كل زمان ومكان؛ يتكلمون وينظمون تنظيمات سرية ويجمعون الأسلحة ليخرجوا على الإمام فينقلبوا عليه ليكون الحكم بأيديهم، هذا شأن الخوارج، ويدعون الغيرة على شريعة الإسلام وهم يفسدون في شريعة الإسلام بخروجهم عنها.

إذن أهل السنة والجماعة لا يخرجون على السلطان، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من أذل سلطان الله في الأرض أذله الله»، ^(٣) وهذا أمر عظيم؛ لأن السلطان يجمع الله به الكلمة، ويؤمن به السبل وتقام به الحدود، ويخاف الظالم ويأمن المظلوم.. إلى غير ذلك من المصالح التي لا تحصى ولو كان

(١) في «مختصر الحجة»: الحج والجهاد.

(٢) غير موجودة في «مختصر الحجة».

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم (٢٢٢٤). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، قال الشيخ الألباني: حسن.

جائراً، فإذا فقد الوالي الجائر حصلت الفوضى بين الناس وتسلبت القوي على الضعيف، والظلم والغشوم إلى المظلوم الضعيف، وحصل خلل في ميزان الحياة، تكون الأمور مضطربة بين قاتل ومقتول، وسارق ومسروق ماله، وظالم ومظلوم.. وغير ذلك، وهذا أمر يعرفه من يدرس التاريخ الذي عاش الناس فيه بدون والي له السلطة والسيطرة على الشعب.

ورحم الله ابن تيمية الإمام المجدد قال: ستون سنة بإمام جائر خير من ليلة بدون سلطان. خير من ليلة واحدة بدون إمام، وهذا حق؛ لأن بالسلطان -كما في الأثر- إن الله لينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن. مهاب لا يستطيع الظلمة والفجار أن يتسلطوا على عباد الله المؤمنين ويفسدون في الأرض.

(وَلَا الْقِتَالُ فِي الْفِتْنَةِ) كذلك، أهل السنة والجماعة يمسكون عن القتال في الفتنة، الفتنة التي لا يعرف فيها المحق من المبطل، فإذا كان لا يعرف المحق من المبطل فمع من تكون؟ الأمر عندك فيه اضطراب وإشكال، فعلى الإنسان أنه يمسك في الفتن والحروب التي ما عرف الحق مع من أصحابه، فما فيها إلا السعي بالصلح بينهم.

فإذا تبين الحق بعد ذلك مع فئة، فأنت معها حتى تفيء الظالمة إلى الحق، كما قال ﷺ: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ هذه الدرجة الأولى؛ الصلح في بداية الأمر، فإن نجح أهل الحل والعقد في الصلح بين الطائفتين المتحاربتين، فذاك هو المطلوب. وإن لم يحصل إصلاح واتفاق فالله ﷻ أمر طائفة من الناس أن ينضموا إلى الطائفة المظلومة فيحاربوا الطائفة الظالمة، ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ مَا صَالِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات].

أما في الفتنة فإن أهل السنة والجماعة يرون وجوب الإمساك عن القتال والمشاركة فيه حتى يتبين الأمر فيكون مع الحق ومع المحق.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة قائم على العدل وعلى الإنصاف وعلى وضوح الرؤية في الأمور، لا على التقليد الأعمى ولا على العصبية.

وهذا الأمر وهذه القاعدة ليس في فتن الحروب المعروفة -القتال والمقاتلة-؛ ولكن في كل شيء. فبين أهل السنة وخصومهم من أهل البدع والضلال، هذه فتنة، فيجب على المؤمنين وعلى طلاب العلم أن يدرسوا الأمر وينظروه من جميع نواحيه مع من هم من السنة ومن هم دعاة السنة، وعلى أي شيء يعتمدون، وينظرون إلى الخصوم الآخرين الذين يُتهمون بالبدعة ما هي بدعتهم، وما هي الأدلة التي تدل على أنهم واقعون في البدعة؟ فإذا تبين الأمر وجب عليهم أن يدعوا أهل البدع والأخطاء إلى رحاب الحق، فإن استجابوا لهم فذاك هو المطلوب اتفق الجميع على السنة وعلى الصواب، وإن أبى المبتدعون فيجب أن ينضم المؤمنون إلى أهل السنة ويقولون بقولهم ومعهم، وأن يهجروا أهل البدع ويزجروهم.

وهكذا بين أهل الموبقات وأهل الصلاح، إذا كانت الخصومة بين أهل الموبقات أهل الفساد؛ الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، فساد في الأرض، وبين أهل الصلاح، فلا بد من دعوة أهل الفساد إلى الحق

والتنازل عن الباطل، فإن استجابوا فذاك هو المطلوب، وإن أبوا فإن أهل الإيمان ينضمون إلى أهل الحق ويزجرون العصاة ويردون عليهم حتى يمتنع أهل الشر وتنكسر شوكتهم. وهكذا في بقية الأمور، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

سؤال (١٦): **(وَلَا الْقِتَالُ فِي الْفِتْنَةِ) ألا يحمل على الخوارج؟**

الجواب: لا يحمل على الخوارج لأنه تبين أمرهم، متى تبين الأمر بين المقتتلين، بين الخصوم، فيجب الانضمام إلى أهل الحق، على أهل الباطل، حتى يفيئوا ويرجعوا إلى الحق؛ لأن قتال الخوارج لا يشك فيه أحد بأنه ظلم وأنه خروج على الوالي وأنه فساد في الأرض، وأما من كان ضدهم من أهل السنة هم المحقون، وهم لا يحاربون إلا أهل السنة.

(وَلَا نَنْزَعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ) أهل السنة إذا أعطوا السلطان صفقة أيديهم؛ بايعوه على السمع والطاعة في المعروف فإنهم لا يخلعون البيعة من أعناقهم ولا ينزعون يدا من طاعة لا باطنا ولا ظاهرا، وإن ظلمهم، كما قال النبي ﷺ: «اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»^(١) أي السلطان فاسمع وأطع، بخلاف الخوارج والمعتزلة فإنه بضد ذلك.

(١) مسلم، حديث رقم (١٨٤٧).

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوزَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.

صحيح هذا مذهب أهل السنة والجماعة في غاية الوضوح في كل زمان ومكان؛ أنهم يتبعون السنة والجماعة، والسنة تأمر بالجماعة وتنهى عن التفرق والاختلاف؛ لأن الله تبارك وتعالى أمر بلزوم الجماعة ونهى عن الفرقة، وكذلك أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة ونهى عن الفرقة لما في الفرقة من الشر، قال ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فجمع بين الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة والخلاف على طريقة أهل السنة والجماعة، يلزمون الجماعة - جماعة المسلمين - وهم الذين اجتمعوا على الحق وإن قل عددهم، وإذا من الله عليهم بوالٍ مسلم اجتمعوا عليه وأعانوه ودعوا له، وأشاروا عليه بالصلاح لنفسه ولعباد الله، هذا موقفهم موقف أهل السنة والجماعة، ونهاهم الله عن التفرق قال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ففرقوا دينهم أحزابا وجماعات مختلفة متنافرة قال الله لنبية: ﴿شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي لست منهم في أعمالهم التي هي التفرقة والحرص على الفرقة، ومن سبر حال أهل السنة والجماعة وسبر حال أهل الفرق اتضح له أن الألفة والوئام والرحمة والوفاق مع أهل السنة، وأن الفرقة والاختلاف مع أهل البدع، لذا قالوا: الألفة والوئام مقرونة بالسنة، والبدعة مقرونة بالاختلاف والفرقة.

والمراد بالاختلاف الذي يتنزه عنه أهل السنة والجماعة هو الاختلاف في الأهواء والشذوذ، لا يجادلونهم ولا يمارونهم ولا ينصبون أنفسهم في كل وقت وحين في جدل مع أهل الأهواء؛ لكن أهل السنة يقيمون عليهم الحجة على المبتدعين والضلال والمفسدين يقيمون عليهم الحجة والبراهين، فإن استجابوا لدعوتهم فذاك، فإن وجد سلطان يأخذ على أيديهم أبلغوا بهم السلطان لئلا يفسدوا قلوب الناس وعقولهم ويسعوا بالفتنة في مجتمعاتهم؛ لأن السلطان يأخذ على أيدي السفهاء، وأصحاب البدع والأهواء سفهاء فلا بد من الأخذ على أيديهم، وإن لم يوجد سلطان ينصف هذا تركوا أهل الهوى بعد أن يقيموا عليهم الحجة، تركوهم وهجروهم وزجروهم، وحذروا الناس منهم نصيحة للمشركين ونصرة للسنة ومحاربة للبدعة؛ لأنها ضلالة وكل ضلالة في النار.

هذه المعتقدات السليمة التي مشى عليها أهل السنة والجماعة مع خصومهم وفي أبواب العلم والعمل وعلى رأس العلم، علم الاعتقاد وتصحيحه وبيان ما يضاده، وعلى رأس العمل توحيد الله تبارك وتعالى وإقامة شعائر الإسلام والصدق في المعاملات، والسير على نهج السلف وصلى الله على نبينا محمد.

سؤال (١٧): إذا قال عالم من علماء أهل السنة قولاً في فلان، هل يؤخذ بقوله بدون دراسة للأمر؟

الجواب: على كل حال من قال قولاً في فلان، ينظر فيمن قال، إن قال في شخص استفاض أنه من أهل الضلال والبدع فهذا لا يشك فيه أحد، وإن قال في غيره من أهل العلم فلا بد من أن يدلّ ويبين موجب القدح فيه، فإن استجاب فالحمد لله، وإن لم يستجب فإنه يبين حاله ويرد عليه، وهذه المسائل تختلف باختلاف العلم الذي يحصل فيه الاختلاف؛ هل هو من الأصول أو من الفروع التي يسوغ فيها

الاختلاف، فلا بد من النظر في القضية حتى لا تؤخذ قضية مسلمة إذا قال فلان في فلان شيئاً أخذ به وعودي وجفي، لا. لا بد من تبين الأمر، والفرق بين أهل البدع والضلال الذين استفاض أمرهم واشتهروا وعلموا، وبين إنسان من أهل العلم ما عُرف بالبدع ولا اشتهر بها إلا أنه اتُّهم بأنه أخطأ في كذا ثم روجع فلم يرجع، فحذّر منه من علم منه ذلك لا بد من أن نتبين الأمر. نتبين الأمر من أجل معالجته وإلا فالثقة قوله مقبول. لكن تناقش الأمور وتطلب الأدلة حتى يكون الإنسان على بصيرة من أمره. ^(١)

سؤال (١٨): هل يدخل في الشذوذ أقوال الفقهاء الشاذة؟

الجواب: الشذوذ عن الأدلة وعن الحق إذا صدرت من إنسان مشهور بالعلم فقال شيئاً باجتهاده فشد عن الجماعة يدعى إلى الرجوع عما شذ فيه؛ لكنه لا يصنف من أهل البدع ولا يهجر لذلك، لا سيما في الفروع وهو لا يكون إلا في الفروع؛ لكن الحق أحق أن يتبع إذا شذ في خطأ ترك الخطأ ونصح إذا كان على قيد الحياة، وبين للناس خطؤه إن كان على قيد الحياة أو بعد الممات، يبين الخطأ؛ لكن لا يلام، الذي وقع منه الخطأ إن كان من أهل الاجتهاد في العلم لا من أهل البدع. ويحذر الناس من الخطأ مطلقاً من أي شخص يكون؛ لأنه لا معصوم إلا النبي ﷺ، وما عدا ذلك من الناس وإن كانوا علماء لا بد أن يقع منهم خطأ، والخطأ يبين ويحذر منه وإذا كان صاحبه من أهل العلم والاجتهاد يعتذر له، وإن كان حياً بلغ الصواب ليقول به ويرجع عن خطئه، وهذا دأب العلم متى ظهر لهم الحق رجعوا عما أخطؤوا فيه كما صرح الأئمة الأربعة بذلك. قال الإمام الشافعي: إذا صح الحديث فهو مذهبي، إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط. وأبو حنيفة يقول: خذوا من حيث أخذنا، فإنما نرى اليوم الرأي ونعدل عنه غداً، يعني يتبين لنا الحق.

وهكذا قول الأئمة يقول الإمام مالك: ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر. والإمام أحمد يقول: لا تقلدوني ولا تقلدوا الشافعي ولا أبا حنيفة وخذوا من حيث أخذنا. هكذا أئمة العلم يتبرؤون من التقليد والتعصب في الخطأ، فهم برءاء ممن يتعصب.

سؤال (١٩): إذا أمر سلطان ما بالجهاد في بلد ما لكن ولي الأمر في بلدنا نهى عن هذا الجهاد هل

تجب طاعته؟

الجواب: الوالي إذا كان مسلماً في بلد من البلدان وما أمر بالجهاد، هو المسؤول أولاً، وعنده من العلم والبصيرة بالقوة وعدم القوة ما لم يعلمه الأفراد؛ لأنهم لهم تخصص في هذا الشأن، القوة القتالية وعدم ذلك، فأنت لا حرج عليك أن تسمع وتطيع ولا تخرج عنه. وإنما المصلحة في طاعته في قضية الخروج لقتال أنه لا قتال إلا تحت راية وال من المسلمين.

(١) انتهى الشريط الثاني.

وَقَالَا: وَأَنَّ الْجِهَادَ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ ﷺ نَبِيَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ.

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. من معتقد أهل السنة والجماعة أنَّ الجهاد ماضٍ مع كلِّ والٍ من ولاية المسلمين برًّا كان أو فاجرًا، وذلك لأنَّ الله تبارك وتعالى أمر به وحثَّ عليه وقال ﷺ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] وكما قال النبي ﷺ جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم، وهو من حيث الحكم على نوعين: فرض عين، وفرض كفاية.

فرض عين في ثلاثة مواطن ثبتت بالتبعية لنصوص الشرع:

الموطن الأول: إذا هجم العدو على ديار المسلمين، فأى دار هجم عليها وجب على أهلها وفرض عليهم فرض عين أن يجاهدوا العدو حتى تنكسر شوكتهم أو يقضي الله ﷻ ما يشاء.

والموطن الثاني: إذا استنفر الإمام -السلطان- من رعيته وعين أفراداً أو جماعة لا يجوز لهم أن يتأخروا فهو فرض عين عليهم، يجب عليهم أن ينفروا ويخرجوا للقاء العدو.

والموطن الثالث إذا حضر المسلم معركة القتال، فلا يجوز له أن يتولَّى ويفر من الزحف، وإنما يجب عليه أن يثبت حتى يقضي الله بين أهل الحق وبين خصومه.

وما عدا ذلك إما أن يكون فرض كفاية، وإما أن يكون مستحباً.

وحكمه باقٍ سواء على النوع الأول أو النوع الثاني حكمه باقٍ إلى أن تقوم الساعة، وذلك متى توفرت الشروط وانتفت الموانع، فإنه يقوم علم الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفار هي السفلى.

والغرض من الجهاد معلوم وهو لنصرة الدين وهزيمة المشركين أعداء الله وأعداء الدين، كما قال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» قال ﷺ: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] هذا هو الغرض من الجهاد، وليس الغرض غنيمة أو أموالاً أو انتقاماً لحظ النفس إنما هو من أجل إقامة دين الله في أرض الله وكسر شوكة المشركين أعداء الدين في كل زمان ومكان.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة بما يتعلق بالجهاد الذي هو خوض المعارك مع الأعداء.

وهناك أنواع من الجهاد قد تكون أكبر أهمية من الجهاد للأعادي:

وهو جهاد النفس حتى تستقيم على أمر الله هذا مفتاح الجهاد جهاد الغير؛ لأن الانتصار على العدو لا يمكن أن يأتي ويتحقق حتى ينتصر الإنسان على نفسه التي بين جنبيه.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في باب الجهاد قال: وجهاد النفس على أربع مراحل:

جهادها حتى تتفقه في دين الله ﷻ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ثانياً جهادها حتى تعمل بما فقهت من دين الله على مراد الله ونهي رسول الله -عليه الصلاة والسلام-

ثالثاً جهادها حتى تبلغ ما علمت وعملت؛ تبلغه الغير بحسب القدرة والاستطاعة.

رابعاً جهاد النفس حتى تصبر على الأذى الذي ينالها في ذات الله تبارك وتعالى سواءً في وقت التفقه في الدين أو وقت العمل به أو الدعوة إليه.

هذه أربع مراتب أعظم أبواب الجهاد؛ لأنه لا يتحقق جهاد الغير حتى يتحقق جهاد النفس، وتكون غاضعة لله وراجية لرحمة الله ﷻ.

ومن الجهاد أيضاً جهاد الغير وهو أنواع:

النوع الأول جهاد الكفار الصرحاء الوثنيين جهادهم حتى يدخلوا في دين الله أفواجا مستسلمين خاضعين أو يقاتلون حتى يقضي الله بينهم وبين خصومهم.

ثانياً جهاد اليهود والنصارى أهل الكتاب، وجهادهم بدعوتهم إلى الدخول في الإسلام أولاً، فإن دخلوا في الإسلام فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فإن أبوا الإسلام طُلب منهم الجزية التي يقدرها الإمام أو السلطان، يدفعوا مالاً وتكف عنهم دولة الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة] فإن أبوا من الأولى والثانية قاتلهم المسلمون حتى يقضي الله بينهم وبينهم.

ثالثاً جهاد المنافقين بالحجة والبرهان لا بالسيف والسلاح؛ لأن المنافقين في عصر النبوة كفَّ النبي ﷺ عن قتلهم، فهو وكل سرائرهم إلى الله، وأما عقوبتهم فهي أشد العقوبات في الآخرة كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء]

رابعاً جهاد أهل البدع والأهواء الذين خالفوا منهج أهل السنة والجماعة على اختلاف بدعهم وضلالاتهم يجاهدون بالكلمة، الذين تركوا منهج السلف الصالح أو تركوا بعضه، فالبدع ليست سواء فيها البدع الغليظة، وفيها البدع التي هي أقل من ذلك. ولا يستهان بشيء من البدع أبداً؛ لأن النبي ﷺ عظم شأنها وبين خطرها بقوله: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» فهي خطيرة مهما كان شأن البدع فهي خطيرة على أصحابها، لا سيما البدع لها دعاة يدعون الناس إليها، ضرب لهم النبي ﷺ مثلاً رائعا في البيان حيث خط خطا مستقيماً وخط بجانبه خطوطاً فقال للخط المستقيم: «هذا صراط الله من أخذ به أفضى به إلى الجنة، وهذه الخطوط على كل خط شيطان يدعو إليه ومن أجابهم قذفوه في النار»، وهي البدع المتعددة المتنوعة في كل زمان ومكان.

ومن البدع في هذا الزمان بدع الحزبيات على اختلاف أشكالها:

حزب التحرير وهو أفسد الأحزاب؛ لأن أهله يستحلون المحرمات ويستباحونها.

حزب جماعة التكفير والهجرة ومنهم هؤلاء الذين أحدثوا في هذا الزمن أموراً خطيرة؛ من قتل المسلمين وترويع الأمنين وقتل المستأمنين والحكم بالكفر على حكام المسلمين ومن معه. هؤلاء جماعة التكفير والهجرة بدعهم غليظة.

وبدعة الإخوان المسلمين؛ لأنهم يتفوقون مع هؤلاء يتفوقون معهم في الخروج على الحكام ويعدون العدة كما يدعون لتقوم الخلافة على أكتافهم، وهذا منهجهم في كل زمان من يوم بدأت دعوة الإخوان

إلى يومنا هذا، سواء خارج هذه البلاد أو في داخل هذه البلاد، سواء في السهل أو الجبل، دعوتهم واحدة ومنهجهم واحد، وهو الاتفاق على الخروج على حكام المسلمين يقولون: لتكون النواة الولي للخلافة الإسلامية، ثم يسعون في الإطاحة بالحكام ومن معهم حتى تتحقق لهم الخلافة.

وعندهم البيعة، وعندهم الإمارة، وعندهم التكتل والتنظيم سري، كل هذا عند الإخوان موجود. وجماعة التكفير والهجرة انفصلوا من الإخوان لأن دعوة الإخوان هي الأم.

وهكذا جماعة التبليغ جميع فئاتها من العرب والعجم المنهج واحد، ومن كان عنده علم من العرب ودخل معهم لا يستطيع أن انفصل بمنهج مستقل لأنه يُطرد من التنظيم. ومن منهجهم التزهيد في العلم وحلقات العلم ويعتبرونها ضياعاً، ومن لم يخرج معهم فهو من عبد الدرهم والدينار. هذه [بنود] دعوتهم وهكذا تلاعب الشيطان بعقول كثير من الناس حتى خرجوا بقليل أو كثير عن منهج السلف الصالح الذي هو الأخذ بالكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة؛ لأنهم بذلوا جهودهم بالتعلم ولهم النية الصادقة الخالصة في العمل بالكتاب والسنة ومن وفقه الله من صلاح النية وحسن القصد؛ فإنه لا يخيب ولا يضل كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٣٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٣٤) [طه] قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل لحامل القرآن -أي العامل به- أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة؛ لأنه عمل بالقرآن.

وخامساً مجاهدة الفساق أهل الموبقات من أهل جريمة الزنا السرقة شرب الخمر والفساد في الأرض هؤلاء يجاهدون بالمواعظ والنصائح والأخذ على أيديهم من ولادة الأمور حتى لا يفسدوا على الناس دينهم ودنياهم. أهل الكبائر الموبقات المجاهرين بالسوء الذين قال النبي ﷺ في حقهم: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين» الذين يجاهرون بالسوء والفساد في الأرض.

الحاصل أن هذه الأنواع أمر أهل السنة وأهل الحق أن يجاهدوهم يجاهدوا النفس ويجاهدوا الكفار الوثنيين، ويجاهدوا اليهود والنصارى، والمنافقين، وأهل الهوى والبدع والضلالات، وأهل الموبقات، وسائر الناس، فالمؤمن مجاهد أينما حل وأينما كان، ويجاهدون الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء، المؤمن في الميدان دائماً.

وهنا مسألة ينبغي أن تذكر وهو أن الجهاد يعقد لواءه السلطان، فتكتل الجماعات بدعوى أنهم أهل الجهاد، غير شرعي، يسبب الفوضى، تكون جماعة من الناس يتكتلون ويقولون: نجاهد الكفار، هذا غير صحيح، لا بد أن يعقد الراية سلطان مسلم صاحب حكمة وخبرة قد بويع من قبل من ولّاه الله عليهم، هذا هو الجهاد.

أما التكتلات والعصابات، فهذا ليس بجهاد ولا ينجح أهله أبداً؛ بل ييؤون بالخسران.

قَالَ: وَالْحَجُّ كَذَلِكَ.

(وَالْحَجُّ كَذَلِكَ) الحج قال فيه النبي ﷺ: «والحج من سبيل الله» ولا بد أن يكون أميراً للحج إذا وجد، أن يكون أميراً للحج يشرف على الناس ويقضي بينهم ويأمنون في ولايته، ولو ترك الناس بدون أمير للحج صاحب سلطة وقوة، لو تركوا لأكلوا بعضهم بعضاً، ونسوا أنهم في الحج؛ فلا بد أن يكون في الحج أمير من حكام المسلمين يشرف على تنظيم الحج ويسوس حجاج بيت الله ويرعاهم، وكم له من الأجر عند الله.

وهذه الدولة وفقها الله من يوم جاء الملك عبد العزيز أن العناية بالحج كلما جاء عام يفوق الذي قبله، في عهد خادم الحرمين رأينا أشياء وكماليات تدهش منها العقول، لولا أننا نشاهدها بأعيننا ما صدقنا؛ من التوسيع في مكة وجبالها وشققها بالأنفاق إذا رأيتها تقول متى حصل هذا وكيف حصل ١٠ كلم أو ١٥ كلم أو ما شاكل ذلك، شق جبل، والبناء المتقن وإضاءته وتوصيل المنافع فيه للركبان والمشاة، وتوفير كل شيء، وإذا رأيت شربة زمزم يشرب منها كل حاج وكل مواطن وكل مقيم ومسافر فجعلت على شكل ما سبقت أن كانت عليه أبداً، نفس الكأس تشرب به مرة واحدة فقط وترميها، وتأخذ كأس جديد وغيرك يأخذ كأس جديد وهكذا.

وهذا من فضل الله ﷻ على هذه الدولة لتكسب الأجر الوفير، فكم في اليوم الواحد من مئات الآلاف المؤلفة من البشر دون الحج والعمرة يشربون من ماء زمزم ويأوون إلى هذا الحرم آمنين، قد هبى لهم على أحسن حال، نضافة وإضاءة وتبريد، وقل ما شئت من الكماليات التي لا توجد في بيوت الناس. كل ذلك ابتغاء الأجر من الله ﷻ لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا وفقهم الله.

وهذا من فضل الله ﷻ عليهم فشكروا النعمة فزادهم الله، وأهل هذه البلاد على العموم من أهل الشكر لهذه النعمة، ويدعون لولاية الأمور بالتوفيق والسداد النصر والتأييد حتى تعلقوا كلمة الله تبارك وتعالى، وتقام الشعائر في أرض الله التي لا حياة للناس إلا بإقامتها، شعيرة الأذان وشعيرة الصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الخلق وفتح دور التعليم.. هذا كله أنعم الله به علينا في هذه البلاد، وليس خاصة بأهل هذه البلاد؛ بل كل واحد من المسلمين أخذ نصيبه من هذا الفضل والخير، أوى إلى هذه البلاد أجناس البشر ومنحوا الدراسات وصاروا علماء وأئمة في بلدانهم الشرق والغرب، والفضل لله أولاً وآخر ثم لمن تسبب فتح هذه الجهود وأبواب الخير للناس فكم لهم من الأجر، وكم لهم بعد الله من الفضل علينا وعلى غيرنا، ونحن لا نملك المكافأة إلا أن ندعوا لهم سرا وعلنا، بنصرته ودعوة الناس إليه ونصرته، هذا واجبنا.

وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ مِنَ السَّوَائِمِ إِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

نعم الصدقات تُجبي من ولي الأمر، هو الذي يبعث الجباة للزكاة، ولي الأمر الذي بيت المال عنده، يأخذ الزكاة كلها من أصناف المال يبعث جباة ليأخذوا الزكاة، لا يجوز لأحد من أهل الأموال أن يماطل، الخارج من الأرض على اختلاف أصنافه، وبهيمة الأنعام إبل وبقر وغنم، وعروض التجارة على اختلاف أنواعها، والنقدين، وأوراق العملة، هذه متى بلغت مال الزكاة تجبي إليه لا يجوز لأحد أن يماطل فيها، بل يعطيها طيبة نفسه، فإن وصلت إلى الإمام فذاك، وإن خان فيها من خان ... من أعطها طيبة نفسه بها، هذا معتقد أهل السنة وهذا منهجهم.

[وَقَالَا:]^(١) وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَلَا [يُدْرِي] مَا هُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة أن المسلمين يُحكم لهم بالإسلام، وأنهم يتوارثون فيما بينهم، ويتناكحون؛ يتزوج الرجل من الأنثى وعلى شريعة الله، ويتواصلون، هذا شأنهم في الدنيا. وأما في الآخرة فالحكم فيهم لله تبارك وتعالى؛ لا يشهد أهل السنة والجماعة لأحد بالجنة أو على أحد بالنار، إلا من شهد له الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بالجنة؛ فأمته تبع لهم في الشهادة. ومن شهد عليه الرسول بالنار فهو في النار ونشهد عليه بالنار.

وأما من لم يكن كذلك فإن أهل السنة والجماعة يرجون للمحسنين ويخافون على المسيئين، ولا ينزلون أحدا جنة ولا نارا، فالحكم لله تبارك وتعالى.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، إلا أنهم يشهدون بما شهد به القرآن بأن المؤمنين لهم الجنة، وأن الكافرين والمنافقين لهم النار، هذا صريح القرآن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف]، وقالت الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۖ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر]، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّخْلِطُونَ ۖ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۖ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۖ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف] إلى غير ذلك من الآيات والنصوص النبوية التي جاء فيها البيان أن المؤمنين في الجنة وأن الكافرين والمنافقين في النار وبئس القرار.

سؤال (٢٠): من الإمارات: هل كل الخلائق يدخلون الجنة يرون الله ﷻ يوم القيامة؟

الجواب: لا شك أن كل من دخل الجنة فإنه يرى الله ويتمتع برؤيته، وتكون رؤيته لربه أعظم من كل نعيم.

سؤال (٢١) من فرنسا: من الأخت أم عبد الرحمن إلى الشيخ العلامة زيد المدخلي: أنا أخت مغربية مقيمة في فرنسا، قدم لي أكثر من شاب للزواج؛ ولكن الوالدين كانا يرفضان بسبب أن هؤلاء إخوة ليسوا من المغرب، والآن تقدم لي أخ مغربي صاحب دين وأخلاق، وقبلت الزواج به، ووالدي قالوا: إن الاختيار بيدك؛ يعني إذا أردت الزواج به ونحن سنكون حزينين وهذا بسبب بعد الأخ ما يقارب ٨٠٠ كلم بين مدينته ومدينة أهلي، فهل أتزوج به ولا ألتفت لحزنهم وهل أكون آثمة إذا تزوجت به وهذا حالهم، وهل يكون في زواجي البركة، ونريد منكم نصيحة للوالدين وهذا حالهم، ونصيحة لجميع الآباء الذين يمنعون بناتهم من الزواج أو يعرقلونه وجزاكم الله خيرا.

(١) غير موجودة في «اللالكائي»، ويوجد: فإن الجهاد ماضي منذ بعث الله ﷻ نبيه ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطئه شيء. والحج كذلك ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

وفي «مختصر الحجة»: فإن الجهاد ماضي منذ بعث الله ﷻ نبيه ﷺ. والحج كذلك ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

(٢) في «اللالكائي» و«مختصر الحجة»: ندري.

الجواب: أولاً نصيحتنا لهاته المرأة الحريصة على حياتها أن تكون طيبة مباركة في الدنيا أن تقبل خطبة صاحب الدين والخلق.

وثانياً بذل الجهد في إقناع الوالدين ليقبلا خطبته ويتولّى والدها عقد نكاحها، فالمرأة لا تزوج نفسها، فإن حصل منه الرضا فهذه فرصة لا ينبغي أن تضيع، ولا يجوز له هو أن يفرض فيها. وأما بعد المكان فلا يضر، هذا خطب سهل، والمواصلات في هذا الزمن سريعة وجيدة لا سيما بواسطة الهاتف والإنترنت وما شاكل ذلك والرسائل، والمراكب الجوية والبرية الأمر سهل للبعد. ووصيتنا لكل مسلم ومسلمة إذا تقدم الكفء لبناتهم أن يسهلوا الأمر ويسارعوا فالمرأة عورة ليس لها كفل إلا الزوج أو القبر، فلا تترك في البيت، ولا يشترط أن يكون من الأقارب بل المسلمون كلهم أقارب، كما قال النبي ﷺ: «الناس من آدم وآدم من تراب». قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «المسلم أخو المسلم».

هذه نصيحتي ووصيتي لهاته المرأة ولمن في حكمها ولأولياء الأمور لا يجوز لهم أن يعطلوا موضوع الزواج لبناتهم بسبب رغبات لا يقرها الشرع. فالخضوع للشرع والشرع يقول: وإذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لم تفعلوا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير» فلتحذر الأمة الفتنة والفساد الكبير.

سؤال (٢٢): .. الجار الذي لا يصلي رغم النصيحة له؟

الجواب: (الجار الذي لا يصلي) هذه الكلمة تحتل أكثر من معنى، إذا كان لا يصلي مرة واحدة؛ ما صلى لله ركعة، فهذا كفر -والعياذ بالله- تتعامل معه بالنصيحة وكلمة الخير واللين فإن نفع فيه ذلك وإلا إذا كنت في دولة الإسلام تنقل خبره إلى السلطة ليأخذوا على يده لأنه سفيه، والنبي ﷺ قال: «ولتأخذن على يد السفية» وأسفه الناس من ترك الصلاة المفروضة، وليس له مسوغ ولا عذر إلا فقد العقل؛ لأن الصلاة لا تسقط لا لمرض ولا لحاجة ولا لأمر من الأمور.

وإن كان يتساهل يصلي تارة ويترك تارة كذلك الأمر عظيم والذنب كبير، تؤكد له النصيحة وتتابع له النصيحة، فإن انتفع بالحمد لله وإلا فكذلك الحال تنقل أمره إلى من يأخذ على يده.

سؤال (٢٣): ما حكم صلاة من صلى وفي ملابسه صور؟ وما نصيحتك لمن يدخل المسجد بثياب

فيها صور؟

الجواب: نصيحتنا أنه لا يجوز له أن يلبس اللباس الذي فيه صور ويدخل به المسجد؛ بل عليه أن ينزّه نفسه عن ذلك وينزه المساجد عن لبس الثياب التي فيها الصور من ذوات الأرواح سواء من بني آدم أو من غيرهم. وأما الحكم على صلاته لا نستطيع أن نحكم عليها بالبطلان؛ لكنه آثم ومرتكب خطأ فيجب الابتعاد عن ذلك.

سؤال (٢٤): ما المقصود بكلمتي بوائقه وبسقبه؟

الجواب: البوائق كما أسلفت الشرور؛ يعني الإساءة إلى الجار بالقول أو بالعمل، أما السقب هو الجار القرين الجار أحق بسقبه أي بقربه بما كان قريب منه.

سؤال (٢٥): إن كان الجار مبتدعا هل له حقوق المسلم المستقيم؟

الجواب: مادام في دائرة الإسلام له حقوق المسلم، إذا كانت بدعته لا تخرجه من دائرة الإسلام فله حقوق المسلم؛ ولكن له تعامل يعامله جاره معاملة تختلف عن معاملة من هو على السنة وليس من أهل البدعة.

فالمبتدع يدعى لترك بدعته ويعتصم بالسنة، فإن أصّر على البدعة هُجر -هجره جاره- حتى لا يسلم عليه ولا يكلمه ولا يعطيه شيئا، لعله يفيء ويرجع، فإن كان من الدعاة إلى البدع والناشرين لها فإنه يحذر منه باسمه وشخصه، حتى لا يضر المجتمع فالمبتدع يعني بدعته كالداء ينشرها وتصيب أفراد الناس من ذكور وإناث؛ لأنه لا يأتي الناس بنشر بدعته مباشرة وإنما ينشر فيهم السنة أولا حتى يُحب، ثم ينشر بدعته بعد ذلك ويغري بها الناس فيقبلون ما ينشره من البدع؛ لأنهم قد علموا أن هذا الرجل يقول بالسنة ويتحدث بالسنة، ويدعو الناس إليها.

فهذه المواقف لا بد من الحكمة فيها، ومن الحكمة إذا رأيت المبتدع مصرا على بدعته وأبى أن يمتثل أمر الله وأمر رسوله فاهجره وازجره بما تستطيع، فإن استجاب لك فالحمد لله فهو أخوك المسلم. وأولاده يعلمون ويحذرون من فتنة والدهم إذا كانوا يعقلون، وهكذا زوجته وأقاربه إذا كان من ينشر البدع فيهم، ويحرص أن تنتشر البدع في أقاربه مدعيا بأنه على الحق وعلى منهج الحق، وهكذا كل مبتدع يدّعي هذه الدعوى بأنه على حق، وأن من عاداه وخالفه فهو على باطل، من قديم الزمان وفي هذا الزمان.

سؤال (٢٦): هل هناك طريقة نقوي بها الذاكرة حتى نحفظ سريعا ونكون تامي الضبط؟

الجواب: نعم فيه وسائل: أن يأكل الحلال ويعيش في ظل الحلال، ويحرص على أداء الفرائض والتقرب إلى الله بالنوافل، وأن يرغب في العلم الشرعي، ويبدل جهده فيه، ويتدرج في مراحل العلم ومستوياته، تأتي الهمة العالية وتأتي قوة الذاكرة، ولا يشغل قلبه بدنيا البشر؛ بحيث يؤثرها على مرضي الله تبارك وتعالى، ومن مرضي الله طلب العلم الشرعي.

سؤال (٢٧): ما حكم من يحجز المكان في المسجد ويذهب؟

الجواب: حجز المكان في المسجد لا يخلو من حالين:
إما أن يكون الوقت قصيرا كالذي يضع متاعه ليذهب فيتوضأ ويعود، هذا الحجز له فيه حق، ولا يجوز لأحد أن يأتي ويرمي متاعه كعمامته أو ثوبه.
أما إذا حجز المكان وذهب في مشاغله ومنافعه، فهذا لا يجوز له؛ لأن المساجد ليست لأحد، كما يقال: منى مناخ من سبق. فالمسجد حق لمن سبق إليه.
ولو كان الأمر جائز لتبادر الناس إلى وضع العلامات والسجادات في الصفوف الأولى ثم ذهبوا في بيعهم وشرائهم وقضاء حاجاتهم حتى تأتي إقامة الصلاة، فهذا لا يجوز ولا ينبغي.

[وَقَالَا:]^(١) وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَلَا يُدْرَى مَا هُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا. فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ. فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَمَنْ قَالَ: [هُوَ]^(٢) مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ حَقًّا. فَهُوَ مُصِيبٌ.

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.
(وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَلَا يُدْرَى مَا هُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ) هذا معتقد أهل السنة والجماعة أن الناس مؤمنون في أحكام دينهم، فمن كان في أهل الإسلام فله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين وحكمه مسلم ومؤمن، بتلازم الإسلام والإيمان.

وأما عند الله تبارك وتعالى فهو العالم بعباده خلقهم وهو عالم بذواتهم وبأعمالهم وبخواتيم أعمالهم، لذا تجد أهل السنة والجماعة يشهدون للمسلم بإسلامه؛ لأنه أتى بأعمال الإسلام من الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج.. وغير ذلك من الفرائض، فلا يجوز لأحد أن يحكم عليه بغير هذا الحكم من كفر أو نفاق أو بدعة حتى يظهر منه شيء من ذلك.

(قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا. فَهُوَ مُبْتَدِعٌ)، (قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا) يعني إيماننا كاملاً فقد خالف منهج السلف في ذلك، فالسلف الصالح رحمهم الله يقولون: نحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فهم مؤمنون بذلك ولا يدعون بأن إيمانهم كإيمان الملائكة والرسل والأنبياء، وأنهم كُمل في الإيمان لا يدعون ذلك ولا ينفونه عن أنفسهم، فهم أهل الاعتدال والوسطية الشرعية.

(وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ. فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) نعم من ادعى بأنه مؤمن عند الله، فهذه دعوى لا برهان عليها، وقع في الكذب؛ لأنه ما يدري ما قدره عند الله تبارك وتعالى، وأهل السنة والجماعة أهل الإيمان بالله تبارك وتعالى يرجون رحمته ويخافون عقوبته، فلا يدعون لأنفسهم الكمال وأنهم عند الله من أوليائه ومن أهل الإيمان الكامل، هذه دعوى لا برهان عليها، ولا يجوز لأحد أن يدعيها، فمن ادعاها فهو كاذب كما قال المؤلف رحمه الله.

(وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ حَقًّا. فَهُوَ مُصِيبٌ.) نعم **(وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ حَقًّا)** أي مؤمن بما أنزل الله تبارك وتعالى، من الكتاب والسنة مؤمن، كما أمره الله بقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، أمرهم الله بذلك فامتثل المؤمنون أمر الله ﷻ، ومثل هذه الآية قول الله ﷻ: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ

(١) غير موجودة في «اللالكائي»، ويوجد: فإن الجهاد ماضٍ منذ بعث الله ﷺ نبيه ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة

المسلمين لا يبطله شيء. والحج كذلك ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

وفي «مختصر الحجة»: فإن الجهاد ماضٍ منذ بعث الله ﷺ نبيه ﷺ. والحج كذلك ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

(٢) في «اللالكائي» و«مختصر الحجة»: ندري.

(٣) في «مختصر الحجة»: إني.

بَيِّنَ أَحَدٌ مِنْ رُسُلِهِ ﷺ [البقرة: ٢٨٥]، الآية، وقوله ﷺ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
 أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، هذه عقيدة المؤمنين التي أمرهم الله ﷻ أن يكونوا
 عليها، فمن قال: أنا مؤمن بالله حقا يعني امتثال ما أمره الله تبارك وتعالى أن يؤمن به كما أنهم - أي أهل
 السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم - يؤمنون بالفرائض والواجبات، ويؤمنون بتحريم المحرمات
 إلى غير ذلك من التكاليف الشرعية التي يجب على كل مكلف أن يؤمن بها أمرا ونهيا وتحليلا وتحريما
 وأحكاما.

وَالْمُرْجئةُ [مُبْتَدعةٌ] ^(١) ضَلَالٌ.

(وَالْمُرْجئةُ) فرقة هالكة، من الفرق الهالكة التي قال فيها النبي ﷺ: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «هي الجماعة» ^(٢)، والمراد بالجماعة الذين عرفوا الحق واجتمعوا عليه، وعملوا به واعتزوا به وعاشوا في ظله، بما تحمل كلمة الحق من معنى. فهم الجماعة والجماعة أيضا من أكرمهم الله بوالي مسلم فاجتمعوا عليه وقاموا بالحق الذي أوجبه الله له عليهم وأوجبه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ له عليهم، وهو يقوم بالحق الذي أوجبه الله عليه من حسن الرعاية وتفقد الأحوال وتيسير ما تيسر له من تأمين البلاد والعباد، وإعانتهم على أمر دينهم ودنياهم في حدود ما يقدر ويستطيع، وإن لم يفعل وهو من المسلمين، وحصل منهم قصور أو ظلم من أخذ الأموال ونحو ذلك، فالواجب الصبر، ولا يجوز أن ينزع أحد من الرعية أن ينزع يدا من طاعة؛ لأنه بذلك يخالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال النبي ﷺ: «إنكم ستجدون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» ^(٣)، وأمر الرعية بالنسبة للولاية أمرهم بأن يؤدوا الحق الذي عليهم وأفيا كاملا، وأن يطلبوا حقهم من الله أن يعينهم الله ﷻ على قضاء حوائجهم إذا قصر واليه.

فلعظم شأن الولاية في تأمين الناس في شأن دينهم ودنياهم أمر الشرع بالصبر والاحتساب والوفاء ولو حصل على الرعية شيء من القصور أو الظلم أو الجور، فإنهم يصبرون ويؤدون الحق الذي عليهم، ويسألون الله الحق الذي لهم. هذا مذهب أهل السنة والجماعة وبيان مواقفهم المشرفة التي تدعو إلى الأمن والأمان، بخلاف الخوارج.

هذه الفرقة -المرجئة- من الفرق الهالكة وهم أصناف ليسوا صنفا واحدا: الصنف الأول مرجئة الجهمية، وهؤلاء عرّفوا الإيمان بأنه المعرفة؛ مجرد المعرفة، فمن عرف ربه فهو مؤمن عندهم كامل الإيمان.

فعلى قولهم هذا يعتبر إبليس من المؤمنين على تعريفهم للإيمان، وقولهم باطل وفساد. وقالت الفرقة الكرامية: إن الإيمان مجرد النطق باللسان، من نطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان، ويلزم على قولهم هذا أن المنافقين مؤمنين كاملي الإيمان، فقولهم باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة، فإن المنافقين ينطقون بألسنتهم بالشهادتين وبقراءة القرآن ونحو ذلك، وقلوبهم مملوءة بالنفاق يبغيضون الإسلام والمسلمين ويغيضون الله ورسوله فلا خلاق لهم، وهم في الدرك الأسفل من النار. وعلى قول الكرامية في تعريف الإيمان أنه مجرد النطق باللسان أنهم مؤمنون، وعلى ذلك يكون قولهم

(١) في «اللالكائي»: والمبتدعة، وفي «مختصر الحجة»: مبتدعة.

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٥٩٧). سنن ابن ماجه، حديث رقم (٣٩٩٢). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) البخاري، حديث رقم (٤٣٣٠). مسلم، حديث رقم (١٠٦١).

باطل من أبطل الباطل.

والمعتزلة أيضا مرجئة لأنهم يعرفون الإيمان بالقول والاعتقاد والعمل؛ ولكن لا يزيد ولا ينقص، لا يتجزأ، الإيمان عندهم معنى واحد لا يتجزأ، وهذا باطل فالإيمان يزيد وينقص وعلى ذلك أدلة الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقال ﷺ في وصف المؤمنين: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال النبي ﷺ: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» أي كامل الإيمان، بل ناقص الإيمان.

وقالت الأشاعرة ومن لف لفهم: الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالقلب وفصلوا عنه العمل، قالوا: الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالقلب، وفصلوا عنه العمل فإنه لم يكن من مسمى الإيمان، وإن اتفقوا مع أهل السنة والجماعة أن المؤمن يثاب على الطاعة وأن العاصي يعاقب على معصيته؛ لكنهم فصلوا العمل على مسمى الإيمان، فجعلوه شيئاً آخر لا علاقة له بالإيمان.

وأهل السنة والجماعة هم الذين هداهم الله للقول الحق في تعريف الإيمان؛ لأنهم قرؤوا النصوص فقالوا: الإيمان:

نطق باللسان كالشهادتين وغيرها من أنواع الذكر المفروض والواجب والمستحب.

واعتماد بالقلب أي ما قاله بلسانه يعتقد به بقلبه، فظاهره وباطنه سواء.

وعمل بالجوارح، فجميع الأعمال التي تزاو لها الجوارح من صلاة وصوم وزكاة وحج وعمرة وطلب للعلم وأمر ونهي.. إلى غير ذلك كلها من الإيمان، وبها يزداد إيمان العبد، وبالتقصير فيها ينقص إيمان العبد.

إذن فهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

هذه القيود لابد أن تتوفر عند أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم تتوفر في حقيقة الإيمان، نطق باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، أربعة أركان.

إذن فالإرجاء مذهب باطل ونحلة سيئة؛ لما فيه من الأخطاء الشنيعة، فهم عندهم فرقة منهم قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، هكذا حكموا هذا الحكم الجائر لا يضر مع الإيمان معصية، إذا آمن بقلبه فليفعل ما شاء من المعاصي لا يضره؛ لأن إيمانه كامل لا يتطرق إليه النقص بالمعاصي عندهم، كما لا تنفع مع الكفر طاعة هذا قياس، قاسوا هذا القياس الفاسد.

أهل السنة يقولون: لا تنفع مع الكفر الأكبر طاعة لا شك حتى يأتي بالأصل الذي تقبل معه الأعمال وهو توحيد الله ﷻ.

فهذا القول يقول به أهل السنة أنه لا ينفع مع الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي طاعة.

أما كونه لا يضر مع الإيمان معصية فهذا باطل، يجرئ الناس على المعاصي إذا قالوا بقول المرجئة.

إذن المرجئة قولهم باطل يسقط الأعمال والتكاليف الشرعية عن المكلفين.

وَالْقَدَرِيَّةُ [مُبْتَدَعَةٌ] ^(١) ضَلَالٌ. فَمَنْ [أَنْكَرَ] مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ [لَا] ^(٢) يَعْلَمُ مَا [لَمْ يَكُنْ] ^(٣) قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ.

هذا مذهب القدرية أيضا، هذه فرق ظهرت من قديم الزمان في عهد أصحاب النبي ﷺ. فالقدرية هم نفاة القدر؛ أي أن الله ﷻ لم يقدر الخير والشر، وأنه لا يعلم أفعال العباد حتى يعملوها، فحكموا على الله بالجهل، ونفوا عنه صفة الكمال. فقولهم: لا قدر. أي أن الله لم يقدر لا خيرا ولا شرا. ومنهم من قال: يقدر الخير ولا يقدر الشر. منهم طائفتان كلهم يتفقون أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها.

والله ﷻ قد علم كل شيء من الظواهر والبواطن، علم الذوات، وعلم الأعمال، وعلم كل ما في السموات وما في الأرض، لا تخفى عليه خافية. هذه عقيدة المؤمنين، فهو لاء ضلال فإذا كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد، أن الله لا يعلم الشيء حتى يقع فهذا كفر؛ لأنهم كذبوا القرآن، ومن كذب القرآن فهو كافر، أخبرنا الله في آيات متعددة أنه علام الغيوب وأنه يعلم السر وأخفى، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ^(١٦) [ق]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ ^[المجادلة: ٧]؛ أي بعلمه وإحاطته، وقوله ﷻ: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ^(١٢) [الطلاق] إلى غير ذلك من الآيات التي فيها إثبات إحاطة الله بجميع مخلوقاته بذواتهم وأعمالهم، وجميع تصرفاتهم، وقد علمها قبل أن يعملوها، وقد علمهم قبل أن يخلقهم، كما في الحديث الثابت «أن الله ﷻ لما خلق القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. فجرى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة» ^(٤) فلا يتخلف شيء إذن فالله بكل شيء عليم.

فبطل قول القدرية الضلال الذين ادعوا بأن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، وادعوا أن الله لم يخلق ولم يقدر الشر والخير، وهذا تكذيب للقرآن.

ولما سئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن مقالته هذه قال: أخبروهم بأني بريء منهم وأنهم برآء مني، والله لو كان لأحد منهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله لا يقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره. أي من الله تبارك وتعالى. فهذه عقيدتهم الفاسدة الباطلة.

(١) في «مختصر الحجة»: مبتدعة.

(٢) الظاهر أن (لا) غير موجودة حتى يستقيم المعنى. وهي مثبتة في «اللالكائي» و «مختصر الحجة».

(٣) في «مختصر الحجة»: ما يكون.

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٧٠٠). سنن الترمذي، حديث رقم (٢١٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. قال الشيخ الألباني:

صحيح، وأورده في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٣).

وجعلوا مع الله ﷻ خالقين وسموا مجوس هذه الأمة، لأن المجوس قالوا بخالقين خالق للخير وخالق للشر -النور والظلمة-، والقدرية قالوا بخالقين متعددين لا حصر لهم عند أحد، جميع المكلفين يخلقون أفعالهم خيرا وشرها، وهذا كذب وباطل ينافي نصوص القرآن والسنة، فالله هو الذي خلق العباد وخلق أعمالهم خيرا وشرها ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأنبياء]، وأهل السنة والجماعة امتازوا بموافقة الحق والصواب، فاعتقدوا بأن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الخير وخلق الشر وقدّر الخير وقدّر الشر والعبد فاعل حقيقة، العبد يعمل ويكسب، والله ﷻ قد قدر وقضى.

إذن فمن معتقدهم في باب القدر أنهم ينسبون إلى الله تبارك وتعالى خلق الخير والشر خلقا وإيجادا وتقديرا من الله لا يتخلف، وينسبونه إلى العباد فعلا وكسبا، وعلى ذلك يترتب الجزاء يثاب المطيع ويعاقب العاصي.

هذه الفرق التي خالفت مذهب أهل السنة والجماعة ضلوا عن سواء السبيل، سواء منهم المرجئة أو القدرية أو الخوارج أو غيرهم.

سؤال (٢٨): هل العبارة هذه صحيحة (فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ) أو (من اعتقد) يا شيخ؟
الجواب: المعنى واحد.^(١)

(١) (فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ) لها نفس معنى (فَمَنْ اعتقد مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ

فَهُوَ)، فتنبه.

وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الْإِسْلَامَ.

الرافضة طائفة هالكة؛ بل هم طوائف متعددة:

الغلاة منهم رفضوا الإسلام، منهم الطائفة المؤلّهة الذين ألّهُوا عليا، وقالوا إن عليا لم يمت وهو في السحاب، وهذا من الكذب والقول على الله بلا علم.

ومنهم السابة الذين يسبون أصحاب رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويغلون في علي بن أبي طالب وأهل بيته، فهؤلاء الذين يستحلون ويعتقدون التقرب بسب أصحاب النبي ﷺ كذبوا القرآن لأن القرآن أثنى على أصحاب رسول الله ومدحهم ورضي عنهم كما قال ﷺ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، نالوا رضا الله، وهؤلاء يقولون: منافقون. الرافضة يقولون: إنهم منافقون، وإنهم تعاونوا على الظلم وظلموا عليا فأخذوا الولاية منه، وهو الوصي. حكموا على أبي بكر وعمر بأنهما الجبت والطاغوت.

هؤلاء الرافضة إذا قال عنهم أئمة العلم: (رفضوا الإسلام)، فهذا هو الصحيح، رفضوا الإسلام أضف إلى ذلك إلى أنهم أهل وثنية معلن، تعلقت قلوبهم بالأضرحة وبأئمتهم وساداتهم من قديم الزمان إلى هذا الزمان.

وهم رفضوا الإسلام لأنهم كذبوا القرآن، ومن كذب القرآن فهو كافر، ولو كذب حرفا واحدا من القرآن.

وليس معهم تأويل وإنما هو الكفر الصريح.

ومنهم طوائف أخرى ما بلغوا هذا المبلغ كالزيدية عندهم تشيع ولكنهم لم يسبوا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا أحدا من أصحاب رسول الله ويقرّون بخلافة الخلفاء الثلاثة؛ ولكن عندهم تشيع غلو في علي بن أبي طالب يقولون: إنه أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهم. وهذا باطل ولكن هذه الفرقة ما أخرجها أئمة العلم من دائرة الإسلام، فهي من الفرق المبتدعة التي ما أخرجتها بدعتها من دائرة الإسلام، والبدعة شر.

سؤال (٢٩): فضيلة الشيخ ما معنى قول النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»^(١)؟

الجواب: معنى ذلك «والشر ليس إليك» أي أن الله لا يأمر بالشر ولا يرضى به، وأما تقديره للشر فهذا من معتقد أهل السنة والجماعة؛ ولكنه لا يأمر به ولا يرضاه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

سؤال (٣٠): إذا كان ولي الأمر عنده كثير من الشراكيات، ولا يحكم بما أنزل الله، هل يجب طاعته؟

الجواب: من كان مشركا شركا أكبر أو كفرا أكبر فليس له على الناس ولاية، وليس له في أعناقهم بيعة، إذا كان كافرا مشركا لا يحكم بما أنزل الله ظلمة على ظلمة، فليس له ولاية على الناس، وليس له في أعناقهم بيعة لقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، ولقول

(١) مسلم، حديث رقم (٧٧١).

النبي ﷺ: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان»^(١) عندئذ يصح الخروج عند القدرة عليه، والتغيير والتبديل بدون أن تنتهك الأعراض وتسفك الدماء وتنتهب الأموال، وإلا فالصبر حتى يجعل الله لكم مخرجا.

سؤال (٣١) من فرنسا: هل يعذر بالجهل من سب الله والرسول؟ وهل يكفر إن كان جاهلا بحكم سب الله والرسول؟

الجواب: الذي يعيش في بلدان المسلمين وسمع أن الله ﷻ أنزل كتابا وأرسل رسولا لا يعذر بالكفر بالجهل، إذا كفر لا يعذر بجهله، لا سيما في الأمور الظاهرة كسب الله ﷻ الخلاق العليم الذي له الفضل والإحسان على الأمة، وسب النبي ﷺ، وسب الدين.

أما الذين يعيشون في بلدان الكفر، ولا يسمعون معلما ولا داعيا، فهؤلاء قد يعذرون حتى تقوم عليهم الحجة، والحجة هي الحجة الرسالية بمعنى حتى يعلموا أن الله أرسل محمدا ﷺ بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبهذا القرآن والسنة المطهرة، والسبب فيمن يسب الله ويدعي الجهل السبب في ذلك هو قصوره لأنه ما تعلم ولا سأل لماذا خلقه الله ﷻ، وقد أعطاه الله ﷻ اللسان والعقل القلب والجوارح، فالواجب السؤال.

سؤال (٣٢) من فرنسا: إذا حلف الإنسان على شيء كان يعتقد اعتقادا جازما أنه قد وقع، ثم تبين له أنه لم يقع وأن الوهم منه، فماذا عليه وهل عليه كفارة؟

الجواب: هذا لا شيء عليه إن شاء الله؛ لأنه اعقد شيئا فحلف عليه، والواجب أن يحفظ الإنسان اليمين حتى يتأكد، قال الله ﷻ: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، أما هو فلا يعتبر كاذبا، ولا عليه كفارة، إذا كان كما ذكر السائل.

سؤال (٣٣)، سائلة من فرنسا: إنني أم لأربعة أطفال، زوجي متوفى، وأسكن بفرنسا، ابني الذي سنه عشرون سنة يسبب لي المشاكل، تغير تصرفه وشرع في أعماله المكروهة منذ سن الرابعة عشرة، ولم يتب منها إلى يومنا هذا، في كل مرة توقفه الشرطة لأسباب مختلفة كالسرقة والمشاجرة.. انقطع عن الدراسة ولا يملك أي هدف في حياته، لا يريد العمل ولا القيام بأي شيء ينفعه حاضرا أو مستقبلا، يقضي أيامه كلها خارج البيت نهارا وليلا مع قرناء السوء.

مؤخرا سجن غير أن هذا لم يكن إيجابيا؛ بل العكس لأنه أصبح أسوأ مما كان. حاولت معه أن أعظه بشتى الطرق باللين ثم بالشدّة؛ لكن بدون فائدة، لتغطية مصاريفه اليومية اتجه نحو تجارة المخدرات، وسمح لنفسه بالإتيان بها إلى البيت، حياته كلها أصبحت حرام، والشيء الذي يؤلمني كثيرا ولا أستطيع تقبله هو كونه يأتي بمثل هذه السموم إلى البيت، دوما كنت أحرص أن لا تدخل بيتي مثل هذه المواد المحرمة والممنوعة.

رزقي حلال لأنني أتحصل عليه من عرق جيني يسمح لنفسه الذهاب للصلاة في المسجد وجوبه

(١) البخاري، حديث رقم (٧٠٥٦). مسلم، حديث رقم (١٧٠٩).

مملوءة بالممنوعات.

إنه يظن أن الصلاة تقلل من شدة ذنوبه، عندما أحاول التحدث معه يرفع صوته ويتخذ أسلوباً قبيحاً، وعندما ألتح قليلاً يدفعني بشدة.

تحملت هذا الوضع مدة طويلة، وغضضت الطرف عن الكثير من الأشياء لكن حين دخلت المخدرات بيتي، لم أستطع السكوت بل انفعلت وقررت فطلبت منه أن يختار ما بين الطريق المستقيم والشارع.

حالياً يظن أنه على الحق وأناي أظلمه، ويتهمني بقطع صلة الرحم، يحتج بمثل هذه الأشياء ليستمر في طريقه المظلم ما دمت أنا الطاغية والظالمة.

والله هذه الوضعية تقطع قلبي أكثر من أي شيء آخر حياتي أصبحت مرة، هل أخطأت في تصرفي مع ابني، ماذا يمكنني أن أفعل، وما هي نصائحكم واقتراحاتكم بارك الله فيكم؟

الجواب: هذه الرسالة طويلة، لأن الإنسان يشكو كل ما يؤثر عليه في دينه وفي حياته، فتصرفات الابن إذا كان الأمر كما ذكرت السائلة تصرفات العاق والعاصي، وهذا لا يجوز له ولا ينبغي له أن يسلك هذا المسلك، أغضب الله وأغضب والدته، وأغضب الله ﷻ بفعل المعاصي والمجاهرة بها، وأغضب أمه بالعقوق والخروج عن طاعتها، وهي تأمره بالخير ترشده إليه ليكون رجلاً مسلماً، قائماً بحقوق الله وحقوق أمه، فأطاع شيطانه وهواه ونفسه الأمارة بالسوء.

فأما الحرام فلا يجوز لها أن تقره أن يأتي به البيت؛ بل ترفضه وتخرجه إلى الشارع. وأما قضية مخالفاته وعقوقه فهي تواصل الدعوة له والدعاء له، تكرار النصيحة، والصبر، تصبر مادامت الحياة.

فهذا هو الذي أحببنا أن نقوله لها، لا بد من الصبر لها، وأما الحرام فلا يجوز لها أن تفتح الباب له ولا تفتح البيت له مهما كان طغيانه، ترفضه وترفض باطله والحرام الذي يأتي به، ولا تأكل من كسبه شيئاً والحالة هذه.

وَالْخَوَارِجُ مُرَّاقٌ.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. هذا امتداد لبيان ما عليه الفرق الهالكة من المرجئة والقدرية والرافضة والخوارج. فقال الإمام المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْخَوَارِجُ مُرَّاقٌ) أخذاً من قول النبي ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(١)، وغير ذلك من الصفات الذميمة التي وصفهم بها النبي ﷺ من الخروج على ولاة أمر المسلمين والتكفير بالمعاصي التي دون الشرك.. إلى غير ذلك من أعمال الخوارج ومعتقداتهم الفاسدة.

فالخوارج سموا بذلك لأنهم خرجوا عن الحق إلى الباطل، وخرجوا على أصحاب رسول الله ﷺ في عهد علي بن أبي طالب ومن معه من أفضل الصحابة، فحكموا عليهم بالكفر لشبهه وتلبسات لبس بها بعضهم على بعض، وقتلوه واستحلوا دماءهم فأهلكهم الله على يد أصحاب النبي ﷺ في ذلك الوقت، وبقي معتقدهم وفكرهم يحمله ورثتهم في كل زمان ومكان، وبئس ما ورثوا من المعتقدات الفاسدة والأعمال القبيحة.

وكل من خرج على حكام المسلمين وكفرهم وخرج عليهم بالسلاح بالإرهاب الفكري والإرهاب الحسي فهو من الخوارج، كما هو صنيع من قاموا بالأحداث المؤلمة في هذا العصر وفي هذه البلاد، ما قاموا بما قاموا به من الفساد إلا بعد أن حكموا على الناس بالكفر وفي مقدمتهم حكام المسلمين - ولاة الأمور -، فهؤلاء خوارج وزادوا على الخوارج الأولين، زادوا عليهم، بما أحدثوا من أحداث جديدة، وهي قتل أنفسهم، وقتل غيرهم؛ بل اختار أن يقتلوا أنفسهم، ولو لم يقتلوا غيرهم بحجة أنهم شهداء، هذه حجة شيطانية، فليسوا من الشهداء في شيء، وليست أعمالهم أعمال الشهداء، وإنما أعمالهم أعمال أهل الشر والفساد، وقد نهى الله ﷻ عن قتل المرء نفسه في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، مهما نزل من الهم والغم والبلاء في الدنيا لا يجوز لأحد أن يعمد إلى نفسه فيقتلها، كما يقول علي هُؤْلَاءُ ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: «بادرني عبدي بنفسه فله النار»^(٢) وهو الذي ينتحر يقتل نفسه هذا وعيد شديد، فهذا فعل الخوارج الذين قال فيهم النبي ﷺ: «إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، وقال: «هم شر الخلق والخلقة»^(٣) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هم شر من تحت أديم السماء»^(٤) وقال ﷺ: «طوبى لمن قاتلهم أو قاتلوه»^(٥) إلى غير ذلك من المعجزات النبوية التي ذكرها النبي ﷺ قبل أن يفعل الخوارج ما فعلوا في عهد أصحابه الكرام. فالحذر من منهجهم والاعتذارات لهم، لا يجوز لا يجوز أن يعتذر الإنسان لأهل الباطل؛ لأنه يروج ما هم عليه فيأثم.

(١) البخاري، حديث رقم: (٦٩٣٣). مسلم، حديث رقم: (١٠٦٤).

(٢) البخاري، حديث رقم (٣٤٦٣). مسلم، حديث رقم (١١٣).

(٣) مسلم، حديث رقم (١٠٦٧).

(٤) سنن الترمذي، حديث رقم (٣٠٠٠). سنن ابن ماجه، حديث رقم (١٧٦). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٥) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٧٦٥). وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةُ كُفَّارٌ.^(١)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَمَنْ شَكَّ فِي كَلَامِ اللَّهِ ﷻ فَوَقَفَ [شَاكًّا فِيهِ]^(٢) يَقُولُ: لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ. وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ جَاهِلًا عُلْمًا وَبُدَّعَ وَلَمْ يُكْفَرْ.

وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ [مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوْ]^(٣) الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

(وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةُ كُفَّارٌ) الجهمية معروفة، فرقة من الفرق الهالكة، نفوا عن الله تبارك وتعالى أسماءه الحسنى وصفاته العلى، والله ﷻ أثبت لها لنفسه، ففعلهم هذا واعتقادهم تكذيب للقرآن الكريم. ومن كذب القرآن كفر، لذا جمهور السلف حكموا على الجهمية بأنهم كفار كفرا ينقل عن الملة.

وذلك لأن الله أثنى على نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات، وهكذا سماه النبي ﷺ بما يتفق مع الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى والصفات العلى، والجهمية نفت عن الله الأسماء الحسنى والصفات العلى وشبهوه بالعدم، وذلك تكذيب للقرآن الكريم، ومن كذب القرآن فقد كفر، ومن كذب حرفا واحدا من القرآن الكريم، فهو كافر كفرا ينقل من الملة.

(وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ) ومن شك في كفرهم من أهل الفهم من أهل العلم بعد أن بين له خطئهم وضلالهم لا يجوز لأحد أن يشك في كفرهم؛ لأن مما لا خلاف فيه أن من كذب القرآن فهو كافر.

والجهمية كذبوا القرآن كما أسلفت، فلا يجوز لأحد أن يعتذر لهم أو يشك في كفرهم؛ لأنهم أتوا بأكبر الأسباب التي تنقلهم عن ملة الإسلام - إن كانوا مسلمين قبل ذلك - إلى ملة الكفر - الكفر الأكبر، فلا يجوز الشك في كفرهم، إن ماتوا على هذا الاعتقاد الفاسد، وذلك خاص بمن يفهم؛ أي عنده علم بخلاف الجاهل الأمي المقلد فقد يخفى عليه، تخفى عليه هذه المسألة، ونظائرها من المسائل العلمية التي لا يعرفها إلا العلماء وطلاب العلم الحذاق، فمن كان أميا فلا يحكم عليه بما يحكم على العارف بفساد مذهب الجهمية وحكم السلف.

(وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) كالمعتزلة الذين هم جهمية قالوا بخلق القرآن، وأنه مخلوق كغيره من المخلوقات، والله ﷻ أخبرنا أن القرآن منزل من عنده، قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر]، ولم يقل: إنا خلقناه، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

(١) في «اللالكائي» و«مختصر الحجة» الجمل الثلاث الأخير جاء ترتيبها كما يلي: وأن الجهمية كفار، وأن الرافضة رفضوا الإسلام، والخوارج مراق.

(٢) في «مختصر الحجة»: فيه شاكا.

(٣) في «مختصر الحجة» غير موجودة وموجود: أو قال.

(٤) هنا يقصد من شك في كفر من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر. لا الجهمية كفار، لأن الجهمية اختلف في تكفيرهم. والصحيح كفرهم. والله أعلم.

تَعْقُلُونَ ﴿٢﴾ [يوسف]، إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في بيان أن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق.

وهذا هو فهم السلف الصالح وأتباعهم.

فشذت المعتزلة وقالوا بخلق القرآن، ويتشبهون ببعض الآيات القرآنية تلبيساً على الناس كقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦، الزمر: ٦٢]، قالوا: (كل) من أدوات العموم وكل شيء مخلوق والقرآن شيء من الأشياء إذن فهو مخلوق. ولهذا قال عمر رضي الله عنه: ناظروهم بالسنة، ناظروا أهل الأهواء بالسنة فإن أهل السنة أعلم بتفسير القرآن من أصحاب الأهواء. فهم يتبعون ما تشابه في القرآن، الآيات التي يمكن أن يكون فيها إشكال على بعض الناس يعمدون إليها ويستدلون بها على مرادهم، وقد ذمهم الله بقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال النبي ﷺ: «إذا رأيت الذين يتبعون متشابهه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»^(١)، هكذا حذر النبي ﷺ من شبهات أهل الأهواء والضلال ومنهم المعتزلة.

إذن من صرح بأن القرآن مخلوق فقد كذب القرآن، ومن كذب القرآن فهو كافر، وللسلف أقوال صريحة في هذا، قال بعضهم: من قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] مخلوق فهو كافر. وقال بعضهم: من قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مخلوق فهو كافر.. إلى غير ذلك من أقوالهم. ولا يشك أحد في كفرهم؛ لأنهم كذبوا كتاب الله الذي أنزله أصدق القائلين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [٨٧] [النساء]، والجواب: لا أحد.

هذا معتقد المعتزلة إلى غيره من المعتقدات الفاسدة التي تتعلق بأحكام الدين والإيمان. **(وَمَنْ شَكَّ فِي كَلَامِ اللَّهِ ﷻ فَوَقَفَ شَاكًّا فِيهِ يَقُولُ: لَا أَذْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ)** هذه الفرق تسمى الواقفة، قالوا: القرآن لا ندري أم مخلوق هو أو غير مخلوق. وقفوا شاكين حائرين، ولم تكفهم آيات الكتاب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، والإنزال غير الخلق، أنزله الله، تكلم به قولاً، وأنزله وحياً على رسوله محمد ﷺ بواسطة شريف الملائكة جبريل عليه الصلاة والسلام، وهو كلام الله من فاتحته إلى خاتمته منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

هذه عبارات السلف بخلاف عبارات الفرق الهالكة الضالة، ومنهم الواقفة الذين وقفوا، وقالوا: لا نقول مخلوق، ولا نقول غير مخلوق، فهم جهمية يعني تشبهوا بالجهمية.

هذا الذي ينبغي أن يعرفه طلاب العلم ليسينوا للناس.

(وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ جَاهِلًا عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يَكْفُرْ) نعم لأن هذا من مسائل العلم التي لا يعلمها إلا طلاب العلم، والناس منهم طالب العلم، ومنهم الجاهل الذي ما اهتدى إلى طلب العلم؛ يعني يعيش في دنياه مهتم بالأكل والشرب والملبس والمسكن والمركب والغدو والرواح وهو يجهل جل العبادات، وربما يقول: لا إله إلا الله. ولم يعرف معناها، ويقول: محمد رسول الله. ولا يعرف ما جاء به رسول الله

(١) البخاري، حديث رقم (٤٥٤٧). مسلم، حديث رقم (٢٦٦٥).

ﷺ إلا ما قلّ ونذر.

فالناس ليسوا سواء، فالحقيقة الجهل ظلمات، والجهل من أكبر المصائب لاسيما إذا من الله عليك بفرصة للحياة لتتعلم فتقضي الحياة في متاع الحياة الجسدية.

هذا هو الخسران، وهذا الذي يعاب عليه جهال المسلمين الذين يعيشون في ديار الإسلام وفي أوساط علماء المسلمين، وتجده يجهل الأشياء التي يجب أن يعرفها، بما يتعلق بحق الله والفرائض والواجبات والمحرمات، والأوامر.

فهذه المسألة - مسألة القول بخلق القرآن، والوقف، والشك في هل هو مخلوق أو غير مخلوق - لا يعلمها إلا طلاب العلم، والجاهل يُعلم مذهب السلف ومنهجهم في هذا الباب وأن القرآن يقال له: القرآن كلام الله تكلم به حقيقة، وأمله على جبريل، تكلم به وحفظه وسمعه جبريل، وجبريل بلغه محمدا بدون زيادة ولا نقصان، إذن فهو كلام الله، ليس لأحد فيه حرف واحد، ولا تُقص منه حرف واحد؛ بل سنده من أعلى الأسانيد، جبريل عن رب العالمين، ومحمد عليه الصلاة والسلام عن جبريل، والصحابة العدول عن محمد عليه الصلاة والسلام.

وهكذا يحمل هذا العلم وعلى رأسه القرآن من كل خلف عدوله.

فالجاهل يعلم مذهب السلف ومنهجهم، فإن قبل فذاك، وإن أبى فهو ضال، يكون مبتدعا؛ لأنه لا يدعي العلم ولا يجادل، قد يكون مقلدا، فظلم نفسه بوقوعه في البدعة.

(وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ.) هذه من الألفاظ البدعية التي لم ينطق بها سلفي لا من المتقدمين ولا من المتأخرين (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ)، هذه من الألفاظ المبتدعة المحدثه التي لم ينطق بها أحد من السلف، وإنما قال بها أهل البدع، فلا حاجة إلى أن يقول: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ)، لا حاجة إلى ذلك أو القرآن بلفظي مخلوق، كل هذا من معتقد الجهمية وأقوال أهل الأهواء والبدع، فأخف شيء في حق قائل هذه العبارة أنه مبتدع ضال؛ لأنهم يريدون أن يقولوا القرآن مخلوق؛ فأخذوا يتحايلون بهذه العبارات المشككة على الناس؛ ولكنها على طلاب العلم ليست مشكلة؛ لأن طلاب العلم تتبعوا ألفاظ السلف فإذا هي بارزة واضحة القرآن كلام الله منزل غير مخلوق من الله بدأ وإليه يعود، المتعبد بتلاوته، المفتتح بالحمد لله رب العالمين والمختوم بالمعوذتين، كله كلام الله حروفه وألفاظه ومعانيه، كلها كلام الله.

فمن خرج عن هذا المعتقد، وهذا اللفظ الصريح فهو من أهل الأهواء والبدع، ومن ذلك (وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ.) أي سلك مسلك الجهمية في هذه العبارات الضالة.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ.

يقول أبو حاتم الرازي: (وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ). أي أهل الحديث؛ السلف الصالح وأتباعهم إلى يوم الدين، كل من أمر السنة على نفسه، كل من بذل جهده في تحصيل العلم الشرعي، تفسير القرآن الكريم، والعناية بالسنة والمطهرة، رواية ودراية، هؤلاء هم أهل الأثر، ويقال لهم: أهل الحديث ويقال لهم: أهل السنة، ويقال لهم: الطائفة الناجية المنصورة، من وقع فيهم فهو من أهل البدع، وهذا قاله هذا الإمام وعرفه عن أهل البدع، فتجدهم دائما يلّمزون أهل السنة، أهل الأثر من المتقدمين والمتأخرين، المتقدمون أطلقوا على أهل السنة بأنهم مشبهة؛ لأنهم أثبتوا لله الأسماء والصفات، فقالوا: مشبهة. في زعمهم أنهم شبهوا الله بالمخلوقات؛ لأنهم أثبتوا له الأسماء والصفات.

وقالوا عنهم: إنهم حشوية. والحشو هو الفضل الزائد الذي لا حاجة إليه.

وقالوا: نوابت. إلى غير ذلك من الألقاب التي أطلقها القدامى على أهل الأثر.

وتبعهم أهل البدع، فتجد في كل زمان يطلقون ألقابا على أهل السنة لا يجوز لأحد أن يطلقها عليهم، كمتشدد، وأصحاب فرقة، ودعاة فرقة، وعلماء السلاطين، وما شاكل ذلك من الألفاظ التي يطلقونها على العلماء الذين عرفوا منهج السلف الصالح المستمد من كتاب الله وصحيح سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فهي قاعدة من عالم جليل، أنك إذا رأيت من يلّمز أهل الحديث وأهل السنة ويطلق عليهم الألقاب السيئة والصفات الذميمة، فاعلم أنه صاحب هوى وصاحب بدعة جرّه هواه وشيطانه ونفسه الأمارة بالسوء بأن يلّمز البراء بالعيب؛ فهو من شر الناس.

وَعَلَامَةُ الزَّانَادِقَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ [السُّنَّةِ] ^(١) حَشَوِيَّةً، يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الْأَثَرِ.

صحيح، فالزنادقة هم أهل النفاق الذين يُظهرون ما لا يطنون، فهؤلاء يذمّون أهل السنة ويطلقون عليهم الألقاب السيئة، فسُموا زنادقة؛ لأنهم في وجوه أهل السنة يقولون الكلمات الطيبة، وفي أعراضهم يقولون فيهم بالسوء والعيب في كل زمان ومكان.

لذا فأصحاب السنة يعرفون فضل أصحاب السنة ويذكرونهم بالجميل، وعلى رأسهم أصحاب وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ وأئمة العلم في القرون المفضلة ومن بعدهم، ولا يسمحون لأنفسهم أن يتكلموا في العالم ويتنقصوا به، ويشيعوا عنه ما ليس فيه أبداً، يحترمون العلماء لأن احترام العلماء احترام للعلم، واحترام أهل السنة احترام للسنة نفسها، هذا منهج السلف الصالح، وأتباعهم احترام العلم والعلماء، احترام السنة وأهل السنة، والثناء عليهم كما أثنى الله ﷻ عليهم، والكف عما شجر بينهم وعن ذكر مساوئهم الكف عن ذلك، الكف عن هذا طريق أهل السنة بخلاف أهل البدع فإنهم على العكس من ذلك كله؛ يرمون أهل السنة والأثر بكل قول ذميم وعمل قبيح وهم برآء منه؛ بل هم أهل الأقوال الذميمة والأقوال القبيحة، وإنما كما قال القائل: رمتني بدائها وانسلت.

سؤال (٣٤): متى يخرج الشخص من دائرة أهل السنة؟

الجواب: إذا انخرط في سلك أهل البدع، لا يوصف بأنه من أهل السنة إذا اختار البدع على السنن.

سؤال (٣٥): هل كل من ارتكب بدعة يسمى صاحب بدعة؟ وهل يوجد فرق بين صاحب البدعة

والمبتدع؟ ومتى يطلق على شخص أنه مبتدع أو صاحب بدعة؟

الجواب: من اختار البدعة على السنة ويُنّ له، قد يحملها الجهل على الوقوع في البدعة فلا يطلق عليه أنه مبتدع حتى يبين له الصواب بالأمر، فإن استجاب فالحمد لله ﷻ ثواب رحيم، وإن أبى إلا أن يعمل ببدعته وينشرها فهو مبتدع ولا كرامة. وصاحب البدعة الذي يتبناها ويدعو الناس إليها يسمى مبتدعاً ولا كرامة.

سؤال (٣٦) من فرنسا: أنا رجل نصراني أريد أن أعتنق الإسلام، أنا متزوج بامرأة نصرانية ولي معها

ثلاثة أبناء وقد ربيناهم طبقاً لتعاليم النصرانية، أسألني هي:

(١) هل عقد الزواج مع زوجتي النصرانية يفسخ بكوني أعتنق الإسلام؟ وهل يجب علي أن أبتعد

عنها لمدة معينة أم ماذا؟

الجواب: أولاً إذا كان هذا الرجل ينوي الدخول في الإسلام فلا يجوز له أن يتأخر لحظة واحدة؛ لأن هذه نعمة من الله تبارك وتعالى قذفها في قلبه، فيجب أن يبادر حتى لا يدركه الأجل قبل أن يدخل في الإسلام فيكون وقوداً لنار جهنم؛ لأن الله حرم الجنة على كل يهودي ونصراني ووثني؛ لقول النبي ﷺ: «والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بما جئت به، إلا كان من أصحاب النار» ^(٢).

(١) في مختصر الحجة: الأثر.

(٢) أورده الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٧)، ورواه ابن منده في «التوحيد» وإسناده على شرط الشيخين.

فنحن نرشد ونسأل الله ﷻ له العون على نفسه أن يبادر لاعتناق الإسلام، ومن طريق السلفيين، يدخل في الإسلام من طريق طلبة العلم السلفيين، لا من طريق الحزبيين، لا إخوانية، ولا سرورية، ولا تحرير ولا ولا.. ولا قاديانية، ولا شيء من هذه الفرق يبتعد عنه، ويسأل عن العالم السلفي ويعتق الإسلام على يديه ويعلمه أحكام الإسلام، هذه ناحية.

والناحية الثانية أن زوجته النصرانية تبقى في عصمته ولا يحتاج إلى تجديد عقد، وعليه أن يبادر إلى دعوتها إلى الدخول في الإسلام، فهو أعظم خير يقدمه لها، ويجب عليها أن تسمع له وتطيع، وتدخل في الإسلام راغبة فيما عند الله من الثواب العظيم من أهل الإسلام وفارة بنفسها من عذاب جهنم الذي أعده الله لمن يموت على النصرانية أو على اليهودية أو المجوسية أو الوثنية.

وأما أولاده الذين ربّاهم وعلمهم على النصرانية فإنه يجب أن يغيّر التعليم، وأن يبين لهم بأنه كان في خطأ يوم علمهم على التعاليم النصرانية وطقوسها، ويعملهم وبيادر بتعلم الإسلام وبيادر إلى تعليم أبنائه الإسلام وفرائض الإسلام وآداب الإسلام ومحاسن الإسلام.

فيتحول إن شاء الله تعالى من الباطل إلى الحق ومن اليهودية والنصرانية إلى الإسلام الذي هو الدين الحق لجميع بني آدم على اختلاف مللهم ولغاتهم، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكل الأناسي وجب عليهم اتباع رسول الله ﷺ.

ولا حجة لمن يقول: أنا على دين سماوي^(١) نصراني أو يهودي أو نحو ذلك، لا يجوز بعد بعثة محمد ﷺ أن يدعي أحد بأن له رسول أو نبي يتبع ما جاء به؛ بل يتبع ما جاء به محمد ﷺ والدين الإسلامي يحترم جميع الكتب السماوية، والرسول الأولين ويبين فضلهم ومحبتهم وصدقهم؛ ولكن ما كان دينهم صواب فهو منسوخ بدين الإسلام، وما كان محرّفاً -حرفه الأعداء- فلا يجوز أن يعمل به أحد أبداً.

وأرجو أن يكون قد استمع السائل إلى ما أملتته عليه، والله الموفق، ويوافينا -إن شاء الله تعالى- وببشرنا متى اعتنق الإسلام، ومن الذي حضر مجلسه إن شاء الله يوافينا في العاجل القريب.

(٢) بما أن زوجتي نصرانية وأن أبنائي تربيتهم نصرانية، فكيف يجب أن أتعامل معهم الآن، وكيف أوفق إلى تربية أولادي تربية إسلامية، وكون أمهم نصرانية؟

الجواب: التربية من المسلم تشمل الأم وتشمل الأبناء، عليه أن يبين للأم ما عرف عن الإسلام، وربما يستضيف عالماً يتحدث عن الإسلام وفضائل الإسلام والمرأة تسمع من وراء حجاب؛ لأنه قد لا يستطيع هو أن يدلي بالحجج والآيات القرآنية إذا كان حديث عهد بالدخول في الإسلام، فيحتاج إلى طالب علم من السلفيين أهل الكتاب والسنة هذه ناحية.

والأولى أن يبين لهم إذا كانوا يعقلون، يبين لهم أن تعليمه لهم على الطريقة النصرانية التي هي دين النصاري كانت خطأ، وأن الواجب على الجميع اعتناق الإسلام ولا يقبل الله منهم عملاً إلا بالإسلام،

(١) وكذلك لأن جميع المرسلين جاءوا بدين الإسلام الذي لا يقبل الله جل وعلا من أحد سواه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ لأن

الرسول دينهم واحد.

فيأمرهم أن يعدلوا عن تلك التعليمات القديمة جميعاً، ويُقبلوا على التعليم الجديد الذي هو تعليم الإسلام ومحاسن الإسلام وآداب الإسلام وفضائل الإسلام، بدءاً بالتوحيد والفرائض والأوامر والنواهي والآداب بقدر الاستطاعة، وإذا بذل الجهد بإذن الله يتحولون، فالرجل يكون في المساء كافراً ثم يفتح الله عليه فيصبح مؤمناً مسلماً، وهو إنقاذ من النار بإذن الله تعالى.

(٣) وأخيراً هل يجوز لي أن أكتم إسلامي عن أقاربي وأن أقوم بشعائر الإسلام دون أن يعرفوا ذلك؟

الجواب: لا ضرورة إلى أن تكتم الإسلام؛ لأنهم لا يملكون لك ضرراً، لا قتلاً ولا غيره، ولا يستطيعون أن يمنعوك من الدخول في الإسلام والتعب بشعائر الإسلام، هذا هو الظاهر الذي نعرفه؛ بل عليك أن تعلن إسلامك وأن تبين الحياة التي تعيشها في ظل الإسلام، وترغبهم في الدخول في الإسلام ولا تكتمه إلا إذا خفت على نفسك أنهم يصدوك عن دين الإسلام بالقتل أو التهديد أو إلحاق الضرر، اكتب إسلامك حتى يفتح الله؛ لكن المعروف أن عندهم هناك القول بحرية الأديان وحرية الكلمة وحرية الرأي، وهم لا يستطيعون أن يعملوا معك شيئاً، فأعلن إسلامك وأظهره وتدعو الأسرة والقريب والبعيد ويكون لك أجر الدعاة إلى الخير ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

سؤال (٣٧) من ليبيا: هناك رجل أراد أن يقترض من بنك ما لا قيمته ألف دينار، وشرط المصرف أنه إذا أتى بقيمة المال كله قبل مرور سنة لا يأخذون منه شيئاً، وبمجرد مرور العام يأخذون فائدة على هذا القرض، فما حكم هذا القرض؟

الجواب: لا يجوز أن يدخل في هذا الشرط؛ بل يقترض لمدة معلومة ثم يعيد القرض بدون زيادة، فإذا زادهم ريالاً واحداً أو ديناراً أو درهماً وقع في الربا، فعليه أن يتعد ويأخذ قرضاً لمدة معلومة، ثم يعيده إذا كان مضطراً إلى ذلك. من البداية لا يجوز أن يخضع لهذا الشرط، لا يقبل هذا الشرط بل يعطيهم الوعد بأنه يعيده،^(١)

... هؤلاء الطلاب أن يبذلوا جهودهم في التحصيل العلمي، والاستفادة من أوقاتهم في مساءلة العلماء، وقراءة الكتب، والسؤال عما أشكل فيها، والمذاكرة مع الأقران، ويدعوا الاشتغال بالجرح والتعديل حتى يصلوا إلى الدرجة التي يمكن لهم أن يقولوا بالجرح والتعديل؛ لأن الجرح والتعديل لا يقول به إلا مجتهد حصل كثيراً من العلم الشرعي ووسائله، فهو يستطيع إذا عدل دليلاً على ذلك، وإن جرح دليلاً على ذلك، فعليهم أن ينتظروا حتى يبلغوا القدر الكافي من العلم الذي يؤهلهم لأن يكونوا من أهل الجرح والتعديل.

سؤال (٣٨): إذا احتاج طالب العلم المبتدئ إلى نقل كلام عالم في تجريح شخص؛ نقله إلى بعض الإخوة.

الجواب: لا حرج ينسبه إليه، لا ينسبه إلى نفسه، يعزوه بالنقل الصحيح والأمانة العلمية ويبرأ من

(١) انتهى الشريط الثالث.

العهد.

سؤال (٣٩) من فرنسا: هل من نصيحة للأخوة السلفيين المقيمين ببلد الكفر ولا رغبة عندهم في الهجرة منها؟

الجواب: إذا توفرت لهم وسائل الهجرة وجب عليهم أن يهاجروا من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ويختاروا لأنفسهم أحسن بلد من بلاد الإسلام ليأمنوا على أنفسهم وأعراضهم ودينهم وأموالهم ويتحاكموا إلى شرع الله تبارك وتعالى ويقيموا شعائر الله، أما إذا جلسوا وهم يستطيعون أن يهاجروا إلى بلاد المسلمين فقد ارتكبوا كبيرة من كبائر الذنوب، بل وتحملوا من الإثم ما يمكن أن يصنعه أبناءهم الشباب وبناتهم الشابات وأبناء آبائهم.. وهكذا جميع النسل؛ لأن النسل إذا نشأ مع الكفار، ولا بد الإنسان - كما يقولون - مدني بطبعه الشاب لا بد أن يكون مع الشباب، والشابة مع الشابات، والجار مع الجار، وما شاكل ذلك، فيحصل خلل كبير ويحصل بعد عن الإسلام، ووقوع في الأخطاء التي يعملها أولئك الكافرون.

لذا ما أعذر الله ﷻ أحدا يدخل في الإسلام وهو في بلاد الكفر، ما أعذره من الهجرة إلا من لم يكن مستطيعا، كما قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (٩٨) أي إلى الهجرة ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ (٩٩) [النساء]، أما المستطيع فكما أسلفت إن بقي فهو مرتكب كبيرة، ويجني على نفسه من الإثم ما لا يتصورون.

سؤال (٤٠) من فرنسا: هل يجوز قبول مال وهدايا ممن كان مكسبه من حرام؟ وهل تجاب دعوته إذا دعانا إلى وليمة أو غداء أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: إذا علمت أن مال الشخص حرام فانصح له ليعدل من الحرام إلى الحلال، هذا أولا. وثانيا لا تقبل منه شيئا يهديه لك من الحرام، وأنت تيقنت بأن جميع ماله حرام، ولا تجب دعوته لتأكل من طعامه وقبل ذلك كله بذل النصيحة وإذا كان المسلمين تحذيره من الوقوع في الحرام، فإن من غذي بالحرام لا يستجيب الله دعاءه كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ.

سؤال (٤١) من الكويت: تمنح بعض الدول العربية جنسيتها لمن هم من غير مواطنيها، ويطلب من الشخص القسم على أنه لا يحمل جنسية بلد آخر، فما حكم القسم إذا كان الشخص يحمل جنسية ولكن تخلص منها قبل أن يقسم على ذلك، هل يعتبر القسم على الكذب إذا كان كذلك فماذا عليه؟

الجواب: لا يجوز الكذب لا يجوز الكذب من أجل أن يتحصل الإنسان على شيء من متاع الدنيا؛ بل ولا يجوز الكذب في كل شيء إلا ما استثناه النبي ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الاثنين فيقول خيرا وينمي خيرا»^(١)، «والرجل يحدث زوجته بشيء ليستصلحها بذلك، وفي الحرب»^(٢) فالجواب خدعة،

(١) البخاري، حديث رقم (٢٦٩٢). مسلم، حديث رقم (٢٦٠٥).

(٢) رواه مسلم عن ابن شهاب كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه تحت الحديث رقم (٢٦٠٥).

ولكن في حدود الشرع، لا يكذب فينقض العهد ولا يخون ولا يغدر.

سؤال (٤٢) من أمريكا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وجزاكم الله خيرا على ما تقومون به من خير لنا وجميع المسلمين، وفقك الله إلى ما يحب ويرضى.

سؤالي: بارك الله فيك يمكن في التأمينات الكثيرة في الصحة والسيارة، وما شابه ذلك، فعندنا في أمريكا إن لم يكن عندك تأمين في الصحة وأردت أن تعالج تدفع مبلغا خياليا جدا؛ لكن إن كان معي تأمين صحي يكون شبه مجاني، فهل علي حرج إن استخدمت هذه الوسيلة، أم أني أعد من الذين يؤمنون بالقدر خيره وشره، أم بمن ضعف توكله على الله، أفيدونا بارك الله فيكم؟

الجواب: قبل كل شيء قضية التأمين هذه في بلاد الكفر لا تستغرب، فعندهم ما هو أكبر من هذا من الربا الحيل والغش، فلهذا نكرّر على إخواننا الذين يعيشون في تلك البلدان، متى تسنى لهم أن يرتحلوا فالحياة قصيرة والدنيا لا يغتر بها الإنسان، ولا يسيئ الظن بربه أنه متى انتقل وترك أملاكه وترك كذا وكذا أنه سيضيع، يجب عليه ن يحسن الظن بربه، وأنه سيرزقه في أي محل حله، لا سيما وهو ساع في نيل رضا ربه، فنكرّر لإخواننا المستطيعين الانتقال والهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام أن يبادروا فلا يتأخروا.

وثانيا إذا أُلزم بهذه الأشياء فعليه أن يدفعها مضطرا، ولكن لا يأخذ هو شيئا، لا يأخذ شيئا مقابل ما دفع، إنما يدفعها فيفك نفسه بها، ولا يؤمل بالعوائد ولا يأخذ شيئا من عائداتها حتى لا يقع في المحذور.

[وَقَالَا:]^(١) وَعَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ: تَسْمِيَّتُهُمْ أَهْلَ السَّنَةِ مُشَبَّهَةً.

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه. تقدم معنا أنّ من علامات أهل الأهواء والبدع تنقصهم لأهل السنة والجماعة، كما قاله أبو حاتم في هذه الرسالة: (وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ الْوَقِيعَةُ فِي الْعِلْمَاءِ) ومعنى الوقيعَة في العلماء أنهم يتنقصون بهم، ويصفونهم بأوصاف ذميمة ليست فيهم ولا تصدر منهم فهي علامة بارزة.

فمن جملة أهل الأهوال الجهمية، عرفنا مذهب الجهمية ومخالفته لمذهب أهل السنة والجماعة، وما حكم به أئمة السلف عليهم وأنهم كفار، لأنهم نفوا شيئاً أثبت القرآن في محكم آياته، وذلك أنهم نفوا عن الله جميع صفاته بل وأسماءه، والقرآن أثبت ذلك، فقد كذبوا القرآن فحكم عليهم أئمة السلف بالكفر الأكبر المخرج من الملة، فهم أطلقوا على أهل السنة والجماعة مشبهة ذلك لأن أهل السنة أثبتوا لله الأسماء والصفات.

والجهمية تقول: ليس لله أسماء وليس له صفات، يقولون: لأننا لو أثبتنا له الأسماء والصفات شبّهناه بالمخلوقات، فننفي عنه الأسماء والصفات، زعماً منهم أن من أثبت له الأسماء والصفات فهو مشبه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذا باطل لأن أهل السنة والجماعة أثبتوا لله الأسماء والصفات ونفوا عنه جميع النقائص والعيوب، فليس لله ﷻ ند ولا شبيه من مخلوقاته لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، فعندما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى]، هذان اسمان كريمان لله ﷻ أحدهما السميع والثاني البصير.

دل الأول على إثبات صفة السمع صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله.

والثاني على إثبات صفة البصر، صفة ذاتية تليق بعظمة الله جل وجلاله.

بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل؛ بل كما قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى]، فلا يشبهون الخالق بالمخلوق ولا يشبهون المخلوق بالخالق، وإنما أهل السنة يقولون: لله صفات تليق به؛ صفات كمال وجلال، وللمخلوق صفات تليق به وتليق بحاله، فالاشتراك بين اسم الخالق واسم المخلوق وصفة الخالق وصفة المخلوق الاشتراك في اللفظ فقط، في المطلق الكلي، أما الحقائق فصفت الله تليق به كاملة بكماله، وصفات المخلوق تليق بحاله مسبقة بالعدم ويطرأ عليها العدم.

(١) غير موجودة في «اللائكائي» و«مختصر الحجة».

وَعَلَامَةُ الْقَدَرِيَّةِ: تَسْمِيَّتُهُمْ أَهْلَ الْأَثَرِ مُجْبِرَةً.

القدرية فرقة هالكة، معتقدتهم أن الله لا يقدر الخير والشر. وفرقة منهم قالوا: لا يقدر الشر؛ بل العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، هذا مذهب القدرية نفاة القدر، يقولون: لا قدر؛ بل العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها. وهذا كفر صريح؛ اتهامهم الله ﷻ بأنه لا يعلم الأشياء حتى تقع تجهيل الله تبارك وتعالى ونفي لعلمه المحيط بكل شيء، فمعتقدهم فاسد وقولهم باطل؛ لأنه يعارض نصوص الكتاب والسنة، والله ﷻ أخبرنا بأنه قدر المقادير، والنبى ﷺ كذلك بين لنا بأن الله هو الذي قدر الأشياء كلها من الذرة إلى أكبر شيء من مخلوقاته ما حصلت إلا بقدر الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ۖ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، و﴿كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَدْوَاتِ الْعُمُومِ، فَهِيَ تَتَنَاوَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ وَأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ ۖ ﴿٢﴾﴾ [الفرقان]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۖ ﴿٨﴾﴾ [الرعد]، والنبى ﷺ قال: «كان الله ولا شيء معه»، «وأول ما خلق القلم فقال له: اكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة».

فبطل قول القدرية نفاة القدر الذين هم أعداء القرآن والسنة، قالوا في أهل السنة: إنهم مجبرة أو جبرية؛ بمعنى أن العبد مجبور على أفعاله، نسبوا هذا القول إلى أهل السنة، أن العبد مجبور على أفعاله؛ يعني مجبور على الكفر، مجبور على جميع المعاصي إذا فعلها، ليس له قدرة ولا اختيار وإنما الفاعل حقيقة عندهم هو الله ﷻ فنسبوا الشر إلى الله فعلا، ونسبة الأفعال إلى العباد مجاز وليست حقيقة، فالفاعل في الحقيقة عند الجبرية هو الله.

وهؤلاء فرقة هالكة اعتبرهم القدرية أهل السنة، وأن هذا القول لأهل السنة.

ومن هنا ندرك أن جميع الفرق المبتدعة الهالكة أعداء لأهل السنة من المتقدمين والمتأخرين، كل صاحب بدعة فهو عدو لأصحاب السنن؛ لأن أصحاب السنن أهل الحديث والأثر لا يسكتون عن أهل البدع؛ بل يبينون بدعهم نصحا للمسلمين ونصرا للسنة وإحقاقا للحق، لئلا ينتشر الباطل والبدعة باطل، فأطلقت القدرية على أهل السنة بأنهم جبرية، وهذا كذب إنما الجبرية فرقة هالكة تقابل القدرية، تقابلها؛ يعني القدرية طرف والجبرية طرف ثانٍ، وأهل السنة والجماعة وسط بين طرفين غاليين.

الطرف الأول القدرية؛ نفاة القدر.

الطرف الثاني الجبرية الذين قالوا: بأن الفاعل لكل شيء هو الله، والمخلوق هذا ما مثله إلا كمثل الشجرة تصرفها الرياح، بلا حول منها ولا قوة، يمنة ويسرة، ومثله كمثل الريشة في مهب الريح، ومثله كمثل الهاوي من أعلى إلى أسفل، هذه أمثال تضربها الطائفة الجبرية الهالكة في المكلف.

ويلزم من قولهم هذا أن الله يعذب العاصي ظلما، وهذا افتراء وقول على الله بلا علم، وتنقص الله تبارك وتعالى؛ لأن الظلم حرمه الله ﷻ وحرمه النبى ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ۖ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران]، فنفى عن نفسه إرادة الظلم، فالظلم من باب أولى، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۖ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]، أي بذي ظلم لهم، وقال النبى ﷺ في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: يا عبادي إني

حرمت الظلم على نفسي جعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(١) وأخبر النبي ﷺ بقوله: «الظلم ظلمات يوم القيامة»،^(٢) وقال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»، إلا أن الجبرية من لازم قولهم - وإن لم يصرّحوا به - أن الله يعذب العاصي إذا عذبه وهو ظالم له، لم؟ لأنه أجبره أن يفعل المعصية، وهذا القول مردود بالشرع والعقل والفطرة لأن الله لا يجبر أحداً أن يفعل المعاصي، لا يجبر أحداً أن يترك الصلاة، أو يقع في الشرك، أو يقرب الزنا، أو يأكل الربا، الله لا يجبر أحداً، بل الله نهى عن ذلك وأعطى المكلفين من عالم الإنس والجن القدرة ليفعلوا الخير ويجتنبوا الشر، فالمكلف قادر أن يفعل الخير وقادر أن يجتنب الشر، فإن ترك الخير ووقع في الشر فهذا بعدل الله وحكمته لأن الله قد قضى كل شيء، وبفعله وكسبه هو الذي نهى الله أن يقع في الشر، وأمره الله أن يفعل الطاعة فلا يقصّر فيها، فإذا خالف أمر الله فهو الذي ظلم نفسه، وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، أي بترك الطاعات وفعل المعاصي، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف]، إلى غير ذلك من النصوص التي تردّ على هذه الطائفة الظالمة الجبرية.

وبقيت بقايا الناس - في عوام الناس - في هذا الزمن، بقيت كلمات تدل على الجبر، وهو قول القائل: إن الله لا يقدر الشر، إن الله لا يأمر إلا بكل خير، صحيح لا يأمر إلا بخير؛ لكن لا يقدر الشر، هذا باطل؛ بل الله يقدر الخير والشر كما يشاء ويريد، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء]، بل المكلفون هم الذين يسألهم الله ﷻ عن أعمالهم، وعلى رأس الأعمال العقيدة، إذا وجدت العقيدة صحيحة فالعبد إلى خير وإن عذبه الله بقدر ما جنى من المعاصي إلا أن مآله إلى الجنة.

وأما فاسد الاعتقاد الذي خرج من دائرة الإسلام فمآله النار وبئس القرار.

وتوسط أهل السنة بين القدرية، فقالوا: الخير والشر مقدران من الله ﷻ، خلقا وإيجادا وتقديرا من الله لا شريك له، ما خلق العبد لا ذاتا ولا أعمالا، ونسبة الخير والشر إلى العباد عملا وكسبا، فمن فعل الخير فبفضل الله وبرحمته ثم بكسبه وجده واجتهاده، ومن فعل الشر فبعدل الله وحكمته ثم بكسبه، هو الذي فعل، قال أو عمل.

وبهذا صار مذهب أهل السنة هو المذهب الحق، وهو المذهب الوسط بين أقوال الفرق الغلاة والجفافة.

(١) مسلم، حديث رقم (٦٥٧٧).

(٢) مسلم، حديث رقم (٢٥٧٨).

وَعَلَامَةُ الْمُرْجِيَّةِ: تَسْمِيَّتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنَقْصَانِيَّةً.

المرجئة سبق بيان مذهبهم ومعتقدهم، وأنهم ليسوا طائفة واحدة؛ بل هم طوائف: مرجئة الجهمية، ومرجئة الكرامية، ومرجئة المعتزلة، ومرجئة الأشعرية، ومرجئة الفقهاء، أنواع بعضهم أشد خطأ وجرما من بعض، فهؤلاء ينزون أهل السنة فيقولون: نقصانية؛ لأنهم يقولون الإيمان يزيد وينقص، والمرجئة عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فاتهموا أهل الحق اتهموهم بالباطل وهم أهل الباطل.

وَعَلَامَةُ الرَّافِضَةِ: تَسْمِيَّتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ [نَاصِبَةً] (١).

كذلك الرافضة من الفرق الهالكة، وهم طوائف متعددة.

أشدهم جرماً القبوريون الذين تعلقت قلوبهم بالأضرحة، ومن يسمونهم بالأولياء، يستغيثون بهم، ويستنجدون بهم، ويدعون بأنهم يعلمون الغيب، أئمتهم الإثنا عشر يقولون: إنهم يعلمون الغيب. فجعلوهم شركاء الله في علم الغيب، وأنهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيارهم، فجعلوهم أرباباً، هؤلاء من الرافضة من أشد أهل الرفض ظلماً، بالإضافة إلى سبهم وشتمهم أصحاب النبي ﷺ وعلى رأس من يشتمون ويقعون في أعراضهم أبو بكر وعمر وعثمان وحفصة وعائشة وأبي هريرة؛ بل وجميع الصحابة إلا نفر قليل رفعوا عنهم ألسنتهم يعدّون على أصابع اليد، وأما البقية عندهم فإنهم يثلبونهم بالظلم والنفاق.

فهؤلاء لا صلة بينهم وبين الإسلام أبداً، خارجين عن دائرة الإسلام.

ومن كان من أهل التشيع بدون سب لأبي بكر وعمر، ولا تعلق بالوثنية بالأضرحة وإنما يتشيع لأهل البيت، وربما يفضل علياً على أبي بكر، هذا أخف من أولئك كالزيدية، الزيدية فرقة من فرق البدع؛ لكنهم من جملة المسلمين الثنتين والسبعين فرقة، إلا أنهم ما أخرجهم أهل السنة والجماعة من دائرة الإسلام، لم؟ لأنهم ما صنعوا كما صنعت الروافض الذين رفضوا الإسلام بحذايره، تعلقت قلوبهم بغير الله، ورجوا دفع المضار وجلب المصالح من غير الله، وشتموا أولياء الله وسبوه، ووقعوا في أعراضهم، فهؤلاء يقولون في أهل السنة: إنهم نواصب؛ أي نصبوا العداوة لأهل البيت، معنى الناصبة نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب وذريته، وهم غلوا فيهم، طائفة منهم ألّوها علياً جعلوه إلهاً، وفرقة قالوا: إنه أفضل من أبي بكر وعمر وأبو بكر وعمر غصبوا منه الخلافة وهو وصي النبي وأبغضوهم، فهم الذين نصبوا العداوة لأولياء الله؛ لكنهم رموا بالنصب أهل السنة والجماعة فقالوا: ناصبة، وكما قال صاحب المثل: رمّني بدائها وانسلت. فالذي هو فيهم رموا به أهل السنة.

(١) في «مختصر الحجة»: نابتة. وفيه زيادة قوله: وكل ذلك من عصيان.

وَلَا يَلْحَقُ أَهْلَ السَّنَةِ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ [الْأَسْمَاءُ] (١).

صحيح، هذه الألقاب وهذه الأسماء التي أطلقها عليهم أصحاب الأهواء من جهمية وقدرية وجبرية ومرجئة ورافضة، هذه الألقاب التي أطلقوها على أهل السنة هم منها براءء، وليس لأهل السنة من هذه الأسماء شيء، وإنما اسم أهل السنة هو أهل السنة؛ أي أهل الحديث والأثر، أهل الحق وليس لهم شيء من هذه الأسماء التي أطلقها أعداؤهم وخصومهم من الفرق المبتدعة، فليس لهم اسم إلا السنة وكفى به شرفاً وفضلاً؛ لأن السنة هي الطريقة التي جاء بها محمد ﷺ، فأخذوا بها ولم يبدلوا ولم يغيروا.

(١) في «مختصر الحجة»: الأسامي.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهَجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدْعِ، وَيُغْلِظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيزِ، وَيُنْكِرَانِ وَضَعَ الْكُتُبِ [بِالرَّأْيِ بغيرِ] آثارٍ، وَيَنْهَيَانِ عَنِ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَيَقُولَانِ: لَا يَفْلَحُ صَاحِبُ [كَلَامٍ] أَبَدًا.^(١)

(وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهَجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدْعِ، وَيُغْلِظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيزِ) نعم هذا هو عمل أهل السنة والجماعة، وموقفهم من أهل البدع؛ بذل النصيحة لهم أولاً، وبيان الحق بيانا جلياً، فمن اتبع الحق صار فرداً من أفراد أهل السنة والجماعة، ومن أعرض عن الحق واعتصم ببدعته وضلاله هجره، فلا يكلمونه ولا يسلمون عليه، ولا يعودونه إذا مرض، لا يزوجه ولا يتزوجونه عنده؛ بل يكون منبوذاً كالبعير الأجرى الذي يعزل عن الإبل، كما أمر عمر رضي الله عنه وأرضاه الأمير في أسباط لما نفى إليها صبيغ التميمي قال: لا يجالس، ولا يمكن من مجالسة أهل العلم، فكانوا يطردونه، فإذا دخل إلى مجلس فيه ذكر وعلم انفضوا منه لئلا يخالطهم هذا الرجل المبتدع، حتى أعلن توبته. فالمقصود أن أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً موقفهم من أهل البدع الزجر لهم بعد بيان الحق وإيضاحه، هجرهم وزجرهم والتغليظ في ذلك، حتى إن بعض السلف كان يمر بالجنائز فلا يصلي عليها؛ لأنها جنازة مبتدع، إذا عرف أنه فلان من الجهمية أو من المرجئة أو من الخراج لا يصلي عليه، يمر بجنازته وكأنه لا يعرفه، وكانوا لا يتبعون جنازة المبتدع.

كل ذلك ليرهب الناس من البدعة، ويحذرون مجالسة المبتدعين، فمن جالسهم تأثر بهم، وألقوا عليه الشبهات والتلبيس، وتوددوا إليه بكل ما يريد ويملكون ليكون واحداً من أفرادهم ولبنه سيئة في صفهم، ويأبى الله على أهل السنة أن يجالسوا أهل البدع أو يجاملوهم ويداهنون في دين الله عز وجل أبداً، من عرف لا يستطيع أن يداهن أبداً يوفقه الله، ولهذا تجدهم لا يتنقصون إلا من قل نصيبه من العلم وضعف إيمانه، فتجده يتأثر بأقوالهم ومغرياتهم وأمانيتهم من السابقين واللاحقين.

(وَيُنْكِرَانِ وَضَعَ الْكُتُبِ بِالرَّأْيِ بغيرِ آثارٍ) كذلك الكتب التي تؤلف والاستناد والاعتماد فيها على آراء الرجال، ليس فيها قال الله وقال رسوله عليه الصلاة والسلام يحذرون من هذه الكتب؛ لأن الكتب إذا فرغت من الأدلة، ولم يكن فيها أدلة من الكتاب والسنة، لا تنفع الناس ولا تقنع أحداً، فالمعصومة هي أدلة الكتاب والسنة، وأما أقوال الرجال وآراؤهم وأفكارهم فهي تحمل الأخطاء الكثيرة، ولا يصح الخطأ إلا بكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، فتجد السلف الصالح وأئمة العلم مع طلابهم يحذرونهم من كتب الآراء وكتب المتكلمين وكتب المبتدعين؛ الدعاة إلى بدعهم؛ لأنهم لا يحتاجون إليها، ومن احتضنها لا يسلم من الشر والداء الذي فيها.

(وَيَنْهَيَانِ عَنِ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ) نعم أهل الكلام لأنهم أهل بدع، تركوا قال الله وقال رسوله في باب

(١) في «مختصر الحجة»: برأي في غير.

(٢) في «مختصر الحجة»: الكلام.

(٣) إلى هنا انتهى ما في «مختصر الحجة».

الاعتقاد وفي غيره من أبواب العلم والعمل، تركوا ذلك واستندوا إلى عقولهم، فما قرره العقل عندهم فهو الصواب الذي يؤخذ به، وما أنكره العقل - والمراد به عقولهم السخيفة الضعيفة - أما العقل السليم فهو لا يخالف النصوص وإنما يخضع للنصوص، فالعقل محكوم عليه والنقل هو الحاكم، والعقل السليم هو يستمد سلامته وصحته من الكتاب والسنة، والعقل السقيم هو الذي يعدل صاحبه عن الكتاب والسنة ويتبنى أفكار الرجال الذين قل نصيبهم من العلم، فلا يسمح أهل السنة والجماعة لأنفسهم ولا غيرهم بتبني كتب أهل الكلام، الذين تركوا كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعدلوا إلى الفلسفة وعلم الكلام والمنطق وما شابه ذلك فضلوا وأضلوا.

(وَيَقُولَانِ: لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا) هذا حكم صريح لأنهم أهل علم وتجربة، يقولان: إنه لا يفلح صاحب كلام، لم؟ لأنه ترك سبيل الفلاح وطريق الصلاح، وهو الكتاب والسنة، والأخذ بما فيهما من الأحكام الشرعية والأوامر النواهي والحلال والحرام وسائر الأحكام والآداب والأخلاق والسلوك، تركوا النصوص وأخذوا بعلم الرجال، فهؤلاء لا يفلحون بشهادة من تبخروا في علم الكلام، ثم من الله عليه بالهداية في آخر حياتهم كالرازي والغزالي والجويني هؤلاء من أساطين علم الكلام، فجلسوا حائرين جمعوا قيل وقال من علم أهل الكلام فما عرفوا دينهم.

ثم بعد ذلك رجعوا إلى طريقة أهل الحديث، كما قال المؤرخون عنهم في آخر حياتهم، فرجع الغزالي، ويقال: إنه ألف كتابا اسمه «إلجام العوام عن علم الكلام»، هذا نسب إلى الغزالي، ولهذا قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن الغزالي ذكروا عنه أنه مات و«صحيح البخاري» على صدره. قال: ولا يمنعنا ذلك أن نبين ما في كتبه من الضلال، كتبه لا تترك لأنها موجودة ومبثوثة على وجه البسيطة، فلا بد من بيان ما فيها من الضلال، من التصوف، ومن علم الكلام، والخطرات.. وما شاكل ذلك، لا بد من بيانه، قال ابن تيمية: ولا يمنع ذلك. كونه مات و«صحيح البخاري» على صدره ورجع إلى طريقة أهل الحديث لا يمنعنا هذا من أن نبين ما في كتبه من الضلال.

وهذه قاعدة أن من ألف كتباً ونشر فيها ضلالات وتداولها الناس ثم تاب ورجع، فهذا رجوعه وتوبته لا تمنع أهل العلم أن يردوا على الضلالات التي في كتبه باسمه وباسم كتابه نصحاً للأمة وتصويباً للصواب وإحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، وتوبته تنفع.

ثم من تاب وبقي له فسحة في العمر عليه أن يبادر إلى سحب أخطائه من مؤلفاته، ويظهرها في كتاب مثلاً أظهر الضلالات في كتب، يبينها في كتاب، بيان ما أخطأ فيه وبيان الأدلة وإعلان رجوعه عنه هذا من المناقب لا من المثالب، ولا يعير بهذا؛ بل يمدح بهذا وينعت ويشنئ عليه، ولا يقبل منه أن يقول: تبت وكتبه مبثوثة في الآفاق يتداولها الناس.

ورحم الله الشيخ عبد العزيز ابن باز لما رد على عبد الرحمن عبد الخالق الذي في جمعية التراث في الكويت لما رد عليه الأخطاء التي أخطأ فيها ووقع في علماء نجد الأفاضل أئمة الدعوة وقال فيهم قولاً سيئاً، رد عليه الشيخ عبد العزيز ابن باز في جريدة من الجرائد وبين له أخطاءه وقال له: إن الواجب عليك أن تعدل عن هذا، وتنشر رجوعك عن هذا الكلام في الصحف السعودية والكويتية؛ بل ولا بد من أن

تؤلف مؤلفا تبين فيه أخطاءك، حتى يسلم الناس من الشر، هكذا لأن الإمام عبد العزيز ابن باز من أئمة العلم الذي يدرك أن الكتب التي تحمل البدع ويتداولها الناس وتطبع الطباعات، هذه تضر الناس ولا تنفع، وتتعاقب الأجيال تدوم في الأجيال، يرثها قرن بعد قرن في الناس، إلا من سلمه الله وحفظه لأنه حفظ الكتاب والسنة واعتصم بهما.

قَالَ [الإمام] ^(١) أَبُو مُحَمَّدٍ [ابن أَبِي حَاتِمٍ] ^(٢): وَبِهِ أَقُولُ أَنَا.

(وَبِهِ أَقُولُ أَنَا) هذا المعتقد في هذه الرسالة مما هو عقيدة أهل السنة والجماعة وبيان مواقفهم من أهل البدع والأهواء والضلال، والرد عليهم، والتحذير منهم والقول بهجرانهم هذه عقيدة المسلمين، وعلى رأسهم العلماء، قال: (وَبِهِ أَقُولُ) أي بما دُونَ في هذه العقيدة يقول به أبو محمد.

(١) غير موجودة في «اللائكائي».

(٢) غير موجودة في «اللائكائي».

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ حُبَيْشٍ الْمَقْرِي: وَبِهِ أَقُولُ.

يعني ما قاله ابن أبي حاتم، ما قاله أبو حاتم الرازي، يقول به أبو علي بن حبيش.

قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ الْمُظَفَّرِ: وَبِهِ أَقُولُ.

كذلك تبعهم ابن المظفر؛ بل وكل سلفي إلى يوم القيامة، هذا قولهم، وهذا معتقدهم، الاعتصام بالكتاب والسنة بالفهم الصحيح، والسير على منهج أئمة العلم، وعلى رأس أئمة العلم أصحاب النبي ﷺ الذين تلقوا العلم عنه، ومن بعدهم من أوعية العلم من أهل القرون المفضلة، ومن بعدهم من العلماء إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة، يقولون بهذا القول؛ أي بقول أهل السنة والجماعة واعتقادهم وهجرهم لأهل البدع، وبيان بدعهم وتحذير الناس منهم، هذه هي عقيدة المسلمين، وعلى رأسهم وأئمتهم العلماء، فالعوام تبع العلماء.

وَقَالَ شَيْخُنَا -يَعْنِي الْمُصَنِّفُ-: وَبِهِ أَقُولُ.

[وَفَقَّنا اللهَ وَكُلُّ مُؤْمِنٍ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.]^(١)

الحمد لله، هكذا أهل السنة اللاحق عن السابق قولهم واحد، في العقيدة، وفي الشريعة، في المعاملات، في الشعائر، وفي المعاملات، وفي أحكام الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، وفي منهج الجهاد والدعوة إلى الله ﷻ، والنصيحة والأخلاق والآداب والسلوك منهجهم واحد؛ لأن مصدرهم واحد كتاب الله وسنة النبي ﷺ وما أجمع عليه من يعتد بإجماعه، لذا فهم لا يختلفون وكلاهم واحد. والحمد لله رب العالمين.

سؤال (٤٣) من الإمارات: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فضيلة الشيخ حفظكم الله ووفقكم، هل يجوز أن نترحم على أهل البدع وأن نحضر جنازتهم؟

الجواب: هذا بحسب المصالح والمضار، إن رأى السلفي أن من المصلحة الترحم عليهم يترحم، وإن رأى من المصلحة للغير عدم الترحم عليهم وعدم ذكرهم فعل وسكت، مع أن أهل السنة أهل ورع في قضية التكفير فلا يكفرون أحدا ببدعة إلا إذا كانت بدعته تكفروه؛ ولكنهم يبينون أن البدع خطيرة وأنها بريد الكفر.

وكفى بقول النبي ﷺ بيانا للخطر: «إن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»^(٢)، فهذا هو الموقف موقف أهل السنة يدور مع المصالح ودفع المضار، إن رأى مصلحة في الترحم على صاحب البدعة الذي ما أخرجته بدعته عن دائرة الإسلام فعل، وإن رأى مصلحة للحاضرين أنه إذا ذكر عنده صاحب البدعة لا يترحم عليه؛ بل يحذر من بدعته فعل.

وكذلك أيضا حضور الجنازة، إذا كانت جنازة مبتدع، إن رأيت أن تحضر طمعا في استقطاب جماعته وأسرته وذويه استقطابهم ودعوتهم إلى الحق وتحذيرهم مما كان عليه ميتهم فعلت، وإن لم يكن كذلك فلا تحضر جنازة المبتدع.

فلما مات بشر المريسي ما حضر مع جنازته سني أبدا مع توافر أهل السنة في بلده؛ بل حضر واحد من أهل السنة وهو يعرف ما عليه بشر المريسي من مذهب التجهم، من إنكار عذاب القبر، وإنكار الشفاعة، ذهب من أجل أن يدعو عليه لا أن يدعو له، لما وضع في قبره قال: اللهم إن عبدك هذا ينكر عذاب القبر فأذقه من عذاب القبر ما لم تذق أحدا من العالمين. ثم لما دعا الناس هو دعا قال: اللهم إن عبدك هذا ينكر الشفاعة فلا تشفع فيه أحدا من عبادك أو كما قال.

لما رجع إلى أصحابه أهل السنة قالوا له: تدعي بأنك من أصحاب السنة وتتبع جنازة بشر؟ قال: لا تعجلوا حتى أخبركم. وأخبرهم بما قال، فصدقوه وضحكوا بعد أن كانوا أهل غضب عليه وغيط. فهذه القضية تدور مع المصالح ودفع المضار.

(١) غير موجود في «اللالكائي».

(٢) مسلم، حديث رقم (٨٦٧).

وأما السالمون من البدع ولو كانوا من أهل الموبقات والمعاصي الظاهرة، يدعاهم ويستغفر لهم، ويسألون الله ﷻ أن يشفعهم فيه إذا كان من أهل التوحيد والصلاح، والله غفور رحيم. ولا يوجد مثل أهل السنة أرحم بالناس، أهل البدع لا يرحمون، وأهل السنة هم الذين يرحمون، وتعليمهم وردّهم وتحذيرهم من أهل البدع كله رحمة بالناس، هذا هو الطريق الصحيح الذي يجب أن تطمئن به النفوس وأن يؤدب الإنسان به نفسه أن يكون هذا قصده.

سؤال (٤٤) من هولندا: إذا قالت امرأة أنها ترفض حكم إرث المرأة في القرآن، فهل يعتبر ذلك كفراً عند أهل السنة والجماعة وهل تعتبر هذه المرأة كافرة؟

الجواب: تتلى عليها آيات الميراث في القرآن إذا كانت مسلمة، فإن اقتنعت وآمنت وتابت واستغفرت لا عليها، وإن أصرت على ذلك فهي مكذبة للقرآن، ومن كذب القرآن فهو كافر، لا شك في كفرها. فيجب أن يبين لها وتتلى عليها آيات القرآن من سورة النساء، تبين لها الآيات، إذا كانت مسلمة معناه قرأت شيئاً من القرآن عرفت شيئاً عن الإسلام، فهذه الأحكام ربما هي خافية عليها، تقرأ عليها ويبين ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، حكم شرعي، ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ إلى آخر الآيات ﴿إِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]، آيات محكمات من أنكرها كفر.

سؤال (٤٥) من الكويت: هل يجوز تأجير الذهب؛ أي وضع مبلغ معين من المال، وأخذ قطعة من الذهب لمدة معينة، وبعدها ترد هذه القطعة مقابل المبلغ المدفوع، طبعاً لا يرد المبلغ.

الجواب: لا حرج في التأجير، وأفضل منه الإعارة، أفضل منه وأزكى الإعارة وفي ذلك أجر، فإن أجره لا حرج.

سؤال أخير (٤٦) من عمان: عندنا في عُمان المفتي إباضي العقيدة فهل يعتبر من ولاية الأمر، وكيف تكون طاعته إذا كان كذلك وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: لا يطاع أحد في معصية الله، لا أمر ولا مأمور، لا يطاع أحد في معصية الله..

